سلسلة الإسلام الصافي – ٣١

www.saaid.net/kutob

مقدمة توضيحية

لفهم عقيدة أهل السنة والجماعة في

أسماء الله الحسنى وصفاته العليا

وذكر أقوال علماء المذاهب الأربعة فيه

تأليف: ماجد بن سليمان الرسي

شوال ، ١٤٣٣ هجرية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فهذه مقدمة تأصيلية لفهم أسماء الله وصفاته كما فهمها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم ، خيار الأمة ، وأصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، وكما فهمها من تبعهم من العلماء الربانيين ، الراسخين في العلم والفتوى ، من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم ، أبذلها لنفسي ولإخواني المسلمين ، حيث أن العلم بأسماء الله وصفاته من أهم العلوم ، لأن العلم بصفات المعبود يوجب خشيته ، ومن ثم عبادته على الوجه الذي يرضيه عن عابده ، فإن الأمر كما قيل: (من كان بالله أعرف كان له أخوف)[1] ، ولهذا كان العلماء بأسماء الله وصفاته هم أخشى الناس لله تعالى ، كما قال تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وقد ذكرت في هذه المقدمة المسالك الثمانية التي تؤدي إلى القدح في الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ، سواء منها ما كان قادحا كليا يؤدي بمعتقده إلى انتقاض إيمانه بالله تعالى ، أو قادحا دون ذلك ، يجعل معتقده في دائرة أهل البدع الغير مكفرة.

ثم ختمت الكتاب بقائمة تحوي مراجع علمية لمن أراد التوسع في الإطلاع.

[1] رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٨٦) عن أحمد بن عاصم الأنطاكي.

وللعلم فإني انتقيت هذه المقدمة من كتابي «تثبيت الإيمان في النفوس» ، والذي شرحت فيه أركان الإيمان الستة.

أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفق المسلمين لفهم دينهم الفهم الصحيح ، وأن يجنبهم طرق الغِواية والانحراف ، وصلى الله على محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليما كثيرا.

وكتبه ، ماجد بن سليمان الرسي ، صبح الجمعة ، الثالث من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٣ هـ

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

majed.alrassi@gmail.com ، www.saaid.net/kutob

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته له مكانة عظمى في العقيدة الإسلامية ، فقد تمدح الله كثيرا في كتابه العزيز بأسمائه وصفاته ، كقوله تعالى ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ ، وقوله ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

كما أثنى النبي ﷺ على ربه في مواضع كثيرة من السنة الشريفة ، ونعته فيها بنعوت الجلال وصفات الكمال.

والإيمان بأسماء الله وصفاته يوجب للعبد خشيته ، ومن ثَمَّ عبادته على الوجه الذي يُرضي الله تعالى ، فإن الأمر كما قيل: (من كان بالله أعرف كان له أخوف)[1] ، ولهذا كان العلماء بأسماء الله وصفاته هم أخشى الناس لله تعالى ، كما قال تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

ولما كان الإيمان بأسماء الله وصفاته بهذه الأهمية ؛ وجب على المؤمن الإيمان بها على الوجه المطلوب شرعا ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ودليل وجوب إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى قوله ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[2] ، ودليل وجوب إثبات صفات الكمال له

---

[1] رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (786) عن أحمد بن عاصم الأنطاكي.

[2] سورة الأعراف: 180 .

قوله تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾[1] ، أي الوصف الكامل ، وقوله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2].

والإيمان الصحيح بأسماء الله وصفاته يقتضي أمرين ؛ الأول: فهمها كما جاءت ، وضده تحريف معانيها عما تقتضيه اللغة العربية وفهم السلف الصالح لها.

والأمر الثاني: الوقوف في أسماء الله وصفاته عند ما ورد في الكتاب والسنة ، وضده ابتداع اسم أو وصف لله لم يَرِد في أحدهما.

وقبل الدخول في تفصيل الكلام في هذين الأمرين فإنه يحسن بنا التنبيه إلى قاعدة هامة جدا في باب فهم الأسماء والصفات ، وهي أن معيار الفهم الصحيح للأسماء والصفات هو مطابقة ذلك الفهم لفهم السلف الصالح ، وهم الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان وأتباعهم ، أهل القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية في قوله: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[3]

وكيف لا تكون تلك القرون خير القرون وهم أتباع الصحابة ، الذين شهد لهم الله تعالى بالخيرية في القرآن في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

وأخبر أنهم أحق بكلمة التقوى وأنهم أهلها ، فقال في سورة الفتح ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾.

---

[1] سورة النحل: 60 .

[2] سورة الشورى: 11 .

[3] تقدم تخريجه.

وشهِد لهم في آخر سورة الأنفال بأنهم هم المؤمنون حقا ، قال تعالى ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

ونوَّه سبحانه وتعالى برضاه عنهم في سورة التوبة ، فقال عزَّ من قائل عليما ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾.

بل قد أثنى الله عليهم في الكتب السابقة – التوراة والإنجيل – فقال في آخر سورة محمد ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في **التوراة** ومثلهم في **الإنجيل** كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾.

أقول: وكيف لا تكون تلك القرون الثلاثة خير القرون ، وهم أتباع الصحابة ، الذين قال الله تعالى فيهم ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[1]؟ أي: فإن آمن الناس بمثل إيمانك يا محمد وإيمان أصحابك – ويدخل في ذلك إيمانهم بالأسماء والصفات – فقد اهتدوا ، وإن تولوا عن طريقكم وحادوا عنه فإنما هم يشاقُّون الله ورسوله وقد قال الله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[2].

[1] سورة النساء: 115 .

[2] سورة البقرة: 137 .

وبموجب هذه الأدلة وغيرها مما ورد في فضل الصحابة مما لا يحصى كثرة ؛ أجمع المسلمون على عدالتهم وفضلهم وسبقِهِم في الإسلام على كل من جاء بعدهم ، وأنهم القدوة الدينية لمن جاء بعدهم.

إذا تقرَّر هذا ؛ فلا أَحَدَ أعلمُ بمراد الله ورسوله في باب الأسماء والصفات – أو غيره من أبواب الدين — منهم ، أي الصحابة رضوان الله عنهم وأتباعهم ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، والمعبر عنهم بالسّلف الصالح ، فالواجب على كل من جاء بعدهم اقتفاء أثرهم ، وردُّ كل ما خالفَ فَهْمَهم ، واعتقاد أنه فهم باطل ، وافتراء للكذب على الله تعالى ، إذ كيف تجهل القرون الثلاثة المفضلة الفهم الصحيح لمعاني الأسماء والصفات ثم يفهمها من جاء بعدهم بقرون؟! هذا لا يقبله شرع ولا عقل.

فصل في بيان الواجب الأول في أسماء الله وصفاته

وعوْداً على بَدءٍ ؛ فالواجب الأول على كل مؤمن بالله تعالى في باب الأسماء والصفات هو **فَهمُها كما جاءت** ، كما تقتضيه اللغة العربية ، وكما فهمها السلف الصالح ، لأن فهمهم هذا قد تلَقَّوه عن النبي ﷺ ، وأنعِم به من فهم ، وكل ما خالف فهم الصحابة فليس من دين الله ، بل هو منهج مخترع مُحدث ، ليس من الإسلام في شيء ، لأن ما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا.

وضد هذا المنهج النبوي في فهم الأسماء والصفات هو الإلحاد فيها ، وهو ثمانية أنواع ، تدور كلها إما على تحريف المعنى الصحيح إلى معنًى غير مراد ، أو إبطال المعنى بالكلية ، ويسمى التعطيل ، أو

اشتقاق أسماء للمخلوقين من أسماء الله تعالى ، وسيأتي الكلام على كل نوع من هذه الأنواع بالتفصيل إن شاء الله تعالى.[1]

والإلحاد في أسماء الله وصفاته منافٍ للإيمان بأسماء الله وصفاته ، ومن القول على الله بلا علم ، ومن البدع الكلامية التي اشتد نكير السلف الصالح وأتباعهم على القائلين بها ، ومن المعاصي التي توعد الله فاعليها بالعذاب عياذا بالله ، قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾[2].

فصل في ذكر بعض الآثار عن السلف في فهم الصفات

فإن قيل: هل وَرَدَ عن السلف – رضوان الله عليهم – ما يُثبت أنهم كانوا يفهمون الأسماء والصفات كما جاءت ولا يتعرضون لمعانيها بأي نوع من أنواع التحريف؟

فالجواب نعم ، فقد روى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي داود الطيالسي[3] قال:

[1] انظر للفائدة كلاما مختصرا للشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾. (الأعراف: 180)

[2] سورة الأعراف: 180 .

[3] هو سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسي البصري ، ثقة حافظ ، مات سنة 204 ، انظر «تقريب التهذيب».

كان سفيان الثوري[1] وشُعبة[2] وحماد بن زيد[3] وحماد بن سلمة[4] وشَريك[5] وأبو عَـوانة[6] لا يَحُدُّون[7] ولا يُشَبِّهون ولا يُمَـثِّلون ، يَروُون الحديث ، لا يقولون (كيف) ، وإذا سُئلوا أجابوا بالأثر.

قال أبو داود: وهو قولنا.

قلت[8]: وعلى هذا مضى أكابرنا. انتهى.[9]

---

[1] هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، الكوفي ، أبو عبد الله ، ثقة حافظ ، فقيه عابد ، إمام حجة ، سيد أهل زمانه علما وعملا ، حدَّث عنه خلق لا يُحصون ، ويقال إنه أخذ عن ست مئة شيخ ، مات سنة 164 هـ ، انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (382/4) و «تقريب التهذيب».

[2] هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم ، أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ،كان الثوري يقول: (هو أمير المؤمنين في الحديث) ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة ، وكان عابدا ، مات سنة 160 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

[3] هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو إسماعيل البصري ، ثقة ثبت فقيه ،كان من أئمة العلماء في زمانه ، مات سنة 179 هـ ، انظر «تقريب التهذيب» ، و «السير» (456/7).

[4] هو حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، من المكثرين من رواية الحديث النبوي ، ثقة عابد ، قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاغمزه على الإسلام ، فإنه كان شديدا على المبتدعة. مات سنة 167 هـ ، انظر «تقريب التهذيب» ، و «السير» (444/7).

[5] هو شَريك بن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي بواسط ثم الكوفة ، أبو عبد الله ، صدوق يخطئ كثيرا ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلا فاضلا عابدا ، شديدا على أهل البدع ، مات سنة 177 أو 178 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

[6] هو أبو عوانة ، وضاح بن عبد الله اليشكري الواسطي البزاز ، ثقة ثبت ، مات سنة 175 أو 176 هـ ، انظر «تقريب التهذيب».

[7] أي لا يصفون الله بـ «الحد» ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بذلك.

[8] القائل هو البيهقي رحمه الله.

[9] كتاب «الأسماء والصفات» (334/2-335) ، وهو في «السنن الكبرى» (3/3).

وقال الوليد بن مسلم[1]: سألت سفيان[2] والأوزاعي[3] ومالك بن أنس[4] والليث بن سعد[5] عن هذه الأحاديث ، فقالوا: نُمِرُّها كما جاءت.[6]

قال شمس الدين الذهبي الشافعي[7] في سفيان الثوري: وقد بثَّ هذا الإمام الذي لا نظير له في عصره كثيرا من أحاديث الصفات ، ومذهبه فيها الإقرارُ والإمرارُ والكفُّ عن تأويلها ، رحمه الله تعالى.[8]

---

[1] الوليد بن مسلم الدمشقي ، الإمام عالم أهل الشام ، كان من أوعية العلم ، ثقة حافظا ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة 195 ، انظر ترجمته في «السير» (211/9).

[2] أي الثوري.

[3] هو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، له رواية معروفة في الحديث ، توفي سنة 151 ، وقد ترجم له الذهبي ترجمة مطولة في «السير» (107/7).

[4] مالك بن أنس هو الإمام المشهور ، شيخ الإسلام ، حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، عرف به مذهبه الفقهي ، وصاحب كتاب «الموطأ» ، الذي جمع فيه حديث رسول الله ﷺ ، ترجم له الذهبي ترجمة عاطرة مطولة في ثمانين صفحة ونيف ، انظر «السير» (48/8 - 135).

[5] هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، وعالم الديار المصرية ، الليث بن سعد بن عبد الرحمٰن الفهمي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت ، فقيه إمام مشهور ، من رواة الحديث النبوي ، ومن أقران الإمام مالك ، ، مات سنة 75 هـ ، انظر ترجمته في «السير» (136/8).

[6] رواه أبو بكر الخلال – تلميذ الإمام أحمد – في كتابه «السنة» (259/1) واللفظ له ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (2/3) ، والآجري في «الشريعة» (104/2) ، والدارقطني في «الصفات» (67).

[7] هو العلامة المؤرخ ، شيخ الجرح والتعديل ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الذهبي ، تركماني الأصل ، شافعي المذهب ، له مؤلفات لا يستغني عنها من جاء بعده ، كـ «سير أعلام النبلاء» ، و«تاريخ الإسلام» ، و «تذكرة الحفاظ» ، و «العلو للعلي الغفار» ، له رواية للحديث النبوي ، وهو من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله ، توفي سنة 748 ، انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (153/3).

[8] «العلو» ، ص 138 .

وقال سفيان بن عيينة[1] في أحاديث الصفات: هذه الأحاديث نرويها ونُقِرُّ بها كما جاءت بلا كيف.[2]

أي: بلا تكييف ، وهو ذكر كيفية الصفة[3] ، وسيأتي الكلام على تعريف التكييف إن شاء الله.

علق شمس الدين الذهبي على كلام سفيان فقال: أي على ظاهره ، لا يجوز صرفُه إلى المجاز بنوع من التأويل.[4]

وقال سفيان أيضا: ما وصف الله نفسه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يُفسِّره إلا الله عز وجل[5].[6]

زاد البيهقي: أو رسله صلوات الله عليهم.[7]

وفي رواية: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته ، والسكوت عليه.[8]

وفي رواية: كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ، لا كيف ولا مثل.[9]

---

[1] هو الإمام الكبير حافظ العصر ، شيخ الإسلام ، أبو محمد ، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، الكوفي ثم المكي ، من المكثرين من رواية الحديث النبوي ، توفي سنة 198 ، انظر ترجمته في «السير» (454/8).

[2] رواه ابن عبد البر عنه في «التمهيد» (136/6) ،كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (148/7 – 149) من ط المغربية.

[3] انظر «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» ، ص 31 ، للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[4] «العرش» ، ص 149 .

[5] أي: ليس لأحدٍ أن يُفسِّره بذكر كيفيته إلا الله تعالى ، لأنه هو العالم بذلك وحده ، أما البشر فهو غيبٌ عنهم فكيف يُفسِّرونه؟

[6] رواه ابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (166/3) ، وابن منده بنحوه في كتاب «التوحيد» (895) ، تحقيق محمد حسن إسماعيل ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[7] «الأسماء والصفات» (338/2–339) لأبي بكر البيهقي ، وصححه محققه.

[8] رواه الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص 49) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (307/2) ، واللفظ للصابوني.

[9] رواه الدارقطني في كتاب «الصفات» (ص 70) ، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (478/3).

وقال الإمام وكيع بن الجراح[1] لما سُئل عما يُروى أن الكرسي موضع القدمين ، ونحو هذا ، قال:
كان إسماعيل بن أبي خالد[2] والثوري ومِسعر[3] يروون هذه الأحاديث لا يُفسِّرون شيئاً[4].[5]
واقشعرَّ رَجُلٌ في مجلسِ وكيع لما سمع حديث عمر رضي الله عنه قال: إذا جلس الرب عز وجل على الكرسي ...[6]
فغضِب وكيع[7] وقال: أدركنا الأعمش[8] وسفيان[9] يُحدِّثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها.[10]

---

[1] الإمام وكيع بن الجراح ولد سنة 129 ، كان من بحور العلم وأئمة الحفظ ، مات سنة 197 ، انظر ترجمته في «السير» (140/9).

[2] هو الإمام الكبير الحافظ ، أبو عبد الله البجلي ، الأحمسي ، مولاهم الكوفي ، من رواة الحديث النبوي ، سمع من خمسة من أصحاب النبي ﷺ ، مات سنة 146 . انظر ترجمته في «السير» (176/6).

[3] هو الإمام الثبت شيخ العراق ، الحافظ ، مِسعر بن كِدام بن عبيدة ، من رواة الحديث النبوي ، قال شعبة بن الحجاج: (كنا نسمي مِسعرا: المصحف) ، يعني من إتقانه. توفي سنة 155 . انظر ترجمته في «السير» (163/7).

[4] معنى (لا يُفسِّرون) أي لا يُكيِّفون شيئا من صفات الرب عز وجل بأن يدَّعوا معرفة كيفية شيء منها ، لأن معرفتها من الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

[5] رواه الذهبي في «العلو» ص 146 .

[6] هو أثر موقوف على عمر وليس بحديث مرفوع ، وتمامه: ... سُمِع له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد.
وقد رواه عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (231/1) وغيره.

[7] أي غضب من كون الرجل اقشعر لما سمع ذكر جلوس الرب على الكرسي في الحديث.

[8] هو سليمان بن مهران ، الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين ، رأى أنس بن مالك وروى عنه ، مات سنة 147 ، له ترجمة مطولة في «السير» (226/6).

[9] أي الثوري.

[10] «السنة» لعبد الله بن أحمد (232/1).

وقال وكيع: نُسَلِّمُ[1] هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول (كيف كذا؟) ، ولا (لِم كذا؟) ، يعني مثل حديث: (يحمل السماوات على إصبع).[2]

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم[3]:

هذه الأحاديث حقٌّ لا يُشكُّ فيها ، نَقَلَها الثقاتُ بعضهم عن بعض حتى صارت إلينا ، نصدق بها ونُؤمن بها على ما جاءت.

قال أبو الفضل[4]: ونحن نقول في هذه الأحاديث ما قال أحمد بن حنبل ، متبعين له ولآثاره في ذلك.[5]

علَّق الذهبي على كلام أبي عبيد فقال:

قد صنَّفَ أبو عبيد كتاب «غريب الحديث» ، وما تعرض لأخبار الصفات الإلٰهية بتأويل أبدا ، ولا فَسَّر منها شيئا ، وقد أخبر بأنه ما لَحِق أحدا يُفسرها[6] ، فلو كان والله تفسيرها سائغا أو حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب ، فلمَّا لم يتعرضوا لها بتأويل ، وأقروها على ما وردت عليه ؛ عُلِم أن ذلك هو الحق الذي لا حَيْدَةَ عنه.[7]

---

[1] التسليم هو الانقياد والخضوع ، فمعنى قوله (نُسَلِّم هذه الأحاديث) أي نؤمن بما دلت عليه ولا نتجاوز ذلك بتأويل معانيها أو تكييفِها أو تعطيلِها.

[2] ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (165/9) في ترجمة وكيع.

[3] هو الإمام المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه ، صاحب المصنفات ، مات سنة 224 هـ ، انظر «تذكرة الحفاظ» (6/1).

[4] هو عباس بن محمد الدوري ، راوي الأثر عن أبي عبيد.

[5] رواه أبو بكر الخلال في «السنة» (258/1) ، والآجري في «الشريعة» (622) ولفظه: هذه عندنا حق ، نقلها الناس بعضهم عن بعض.

[6] أي ما أدرك أحدا ممن قبله يُفسرها بذكر الكيفية.

[7] «السير» (162/8).

وقال أبو بكر الخلال[1]: سمعت عبد الوهاب الوراق[2] يقول: سألت أسود بن سالم[3] عن هذه الأحاديث فقال: نحلف عليها بالطلاق والمشي[4] إنها حق.[5]

فصل في ذكر تقريرات بعض أئمة المذاهب في فهم الأسماء والصفات

أقوال الحنفية

قال محمد بن الحسن الشيباني[6] – صاحب أبي حنيفة –: **اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب** على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ ، فمن فَسَّر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي

[1] هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه ، شيخ الحنابلة وعالمهم ، أبو بكر ، أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال ، من أجل تلامذة الإمام أحمد ، أخذ الفقه عن الإمام أحمد وكثير من أصحابه ، صنف كتاب «السنة» ، جمع فيه أحاديث وآثار رواها بإسناده في العقيدة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وله مصنفات جمع فيها مسائل كثيرة عن الإمام أحمد ، فكم من حسنة له على من بعده من المسلمين ، توفي سنة 311 ، انظر ترجمته في «السير» (297/14) و«طبقات الحنابلة» (22/3).

[2] هو الإمام القدوة الرباني الحجة ، أبو الحسن ، عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع ، البغدادي الوراق ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة 251 ، انظر «السير» (323/12).

[3] (كان ثقة ورعا فاضلا ، مات سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومئتين) ، قاله ابن جرير الطبري ، سمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وغيرهما ، ورُوي عنه الحديث ، انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (498/7).

[4] أي النذر بالمشي إلى المسجد الحرام إن لم تكن أحاديث الصفات حق على ظاهرها.

[5] «السنة» لأبي بكر الخلال (258/1-259) ، وانظر «الإبانة» (61/3).

[6] هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، صاحب أبي حنيفة وأبي يوسف ، فقيه العراق ، روى عن أبي حنيفة ومالك بن أنس والأوزاعي ، أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا ، واستفاد منه أحمد ومالك ، وَلِي القضاء ، وتوفي سنة 189 ، انظر «سير أعلام النبلاء» (134/9).

ﷺ وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصِفوا ولم يُفسروا ، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جَهمٍ[1] فقد فارق الجماعة ، لأنه قد وصفه بصفةٍ لا شيء.[2]

أقوال الشافعية

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: آمنت بكلام الله على مراد الله ، وآمنت بكلام رسول الله على مراد رسول الله.[3]

وروى الخطيب البغدادي الشافعي[4] في «الكفاية» بإسناده إلى الشافعي أنه قال:

الأصل قرآن وسنة ، فإن لم يكن فقياسٌ عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصحَّ الإسناد منه فهو سنة.

ثم قال: والخبر المفرد على ظاهره ، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به[5].[6]

"وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه يـونس بن عبد الأعلى – وقد سُئِل عن صفات الله – فقال:

---

[1] يقصد الجهم بن صفوان ، مؤسس مذهب الجهمية ، وبئس المذهب والمؤسِّس.

[2] «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (480/3).

[3] ذكره عبد الله بن أحمد بن قدامة (620 هـ) في كتابه «ذم التأويل» (ص 222 ، 256) ، ويقع ضمن مجموع يحوي ثلاث كتب (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، إثبات صفة العلو ، ذم التأويل) ، بتحقيق بدر بن عبد الله البدر ، الناشر: دار ابن الأثير – الكويت.

[4] هو الحافظ الكبير الإمام محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، مات سنة 412 هـ. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (221/3).

[5] أي إذا احتمل الخبر عدة معاني فإن أولاها بأن يفسر به هو المعنى الظاهر المتبادر القريب للذهن.

[6] رواه الخطيب في «الكفاية في علوم الرواية» (564/2-565) ، الناشر: دار الهدى – مصر.

لله أسماء وصفات لا يَسَعُ أحدا قامت عليه الحجة ردَّها ، لأن القرآن نزل بها ، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل ، لأن عِلم ذلك لا يُدرك بالعقل ، ولا بالرَّوِيَّةِ والفكر".[1]

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: أما الكلام في الصفات ؛ فأما ما رُوي منها في السُّنن الصِّحاح فمذهب السَّلف إثباتُها ، وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكَيف والتشبيه عنها ، والأصل في هذا أن الكلام في الصِّفات فرعٌ عن الكلام في الذَّات ، ونحتذي في ذلك حَذْوه ومِثاله ، وإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ؛ فكذلك إثبات صفاته ، فإنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا: يدٌ وسمعٌ وبصرٌ ؛ فإنما هو إثبات صفاتٍ أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إنَّ معنى اليد القُدرة ، ولا نقول إنَّ معنى السمع والبصر ؛ العلم ، ولا نقول إنها جوارح وأدوات الفعل ، ونقول: إنما وَجَبَ إثباتها لأنَّ التوقيفَ[2] وَرَدَ بها ، وَوَجَبَ نفيُ التشبيه عنها ، لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3] ، وقوله ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾.[4]

---

[1] هكذا بنصه من كتاب «الأربعين في صفات رب العالمين» للذهبي ، ص 84 ، تحقيق: عبد القادر بن محمد عطا ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة ، سنة 1413 .

[2] أي الأدلة الشرعية التي يجب الوقوف عندها.

[3] سورة الشورى: 11 .

[4] رواه الذهبي بإسناده عنه كما في كتاب «العرش» له (148 – 149).

وقال الإمام البغوي الشافعي[1] رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾[2]: قال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

وقال شمس الدين الذهبي الشافعي رحمه الله في مقدمة كتابه «العلو للعزيز الغفار»:

فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنن ، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكوه من مذاهب السلف ، فإما أن تنطق بعلم ، وإما أن تسكتَ بِحِلم.

وَدَعِ المِراءَ والجدالَ فإن المِراءَ في القرآنِ كفرٌ ، كما نطق بذلك الحديث الصحيح[3].

---

[1] هو الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة ، أبو الحسين ، الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي ، الشافعي المفسر ، صاحب التصانيف ، ك «شرح السنة» في الحديث ، و «معالم التنزيل» في التفسير ، توفي سنة 516 . انظر ترجمته في «السير» (439/19).

[2] سورة المائدة: 64 .

[3] رواه أبو داود (4603) وأحمد (258/2) بلفظ (جدال في القرآن كفر) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحكم عليه الألباني بأنه حسن صحيح ، وانظر «الصحيحة» (546/5) و «المشكاة» (79/1).

ورواه أحمد (300/2) عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ أطول: نزل القرآن على سبعة أحرف ، المِراء في القرآن كفر – ثلاث مرات – ... الحديث.

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي حفظه الله في شرحه لهذا الحديث:

ومعنى الحديث أن الجِدال بالقرآن من الأعمال الكفرية ، فلا يجوز للإنسان أن يجادل في القرآن ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

فلا يجوز المراء والجدال في القرآن ، فقد يكون كفرا أكبر ، وقد يكون كفرا أصغر ، بحسب قصد فاعله ، فإن جادل في آيات الله على وجه التعنت والعناد والإنكار لما دلت عليه يكون كفرا أكبر ، وإن كان جِداله دون ذلك يكون كفرا أصغر. انتهى

«الإعانة على تقريب الشرح والإبانة ، حديث: «المراء في القرآن كفر» ، باختصار يسير.

وسترى أقوالَ الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية ، جمع الله قلوبنا على التقوى ، فإننا على أصلٍ صحيحٍ وعقْدٍ متينٍ من أن الله تقدّسَ اسمه لا مِثل له ، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة ، إذ الصفات تابعة للموصوف ، فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة عن الأشباه من غير أن نَتَعقَّل الماهية.

فكذلك القول في صفاته ؛ نؤمن بها ، ونعقل وجودها ، ونعلمها في الجملة ، من غير أن نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[1] اهـ.

وقال الإمام الحافظ أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي[2] رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾[3]:

وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح ؛ مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من **أئمة المسلمين قديما وحديثا** ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المُشبِّهين منفي عن الله ، لا يُشبِهُهُ شيء من خلقه ، و ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ، بل الأمر كما قال

---

[1] انظر (101/1 ، 183) ، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي ، ط 2 ، الناشر: دار الراية – الرياض.

[2] هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البُصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة 774 .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

[3] سورة الأعراف: 54 .

الأئمة ، منهم نُعَيم بن حماد الخزاعي[1] – شيخ البخاري – قال: (من شبَّه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه) ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصريحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص ؛ **فقد سلك سبيل الهدى**. انتهى كلامه رحمه الله.

قلت: وانظر ما قاله إمام الشافعية في وقته الإمام قوَّام السنة ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني[2] رحمه الله في كتابه «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة»[3].

أقوال الحنابلة

قال الخلال في كتاب «السنة»: حدثنا أبو بكر المَرُّوذي رحمه الله قال:

سألت أبا عبد الله[4] عن الأحاديث التي تَرُدُّها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء[5] وقصة

---

[1] هو الإمام العلامة الحافظ الفرَضي صاحب التصانيف ، حدَّث عن جماعة منهم عبد الله بن المبارك ، وروى عنه جماعة منهم البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، قال الذهبي: كان من كبار أوعية العلم.

انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (595/10) و «تذكرة الحفاظ» (6/2).

[2] هو الإمام الحافظ أبو القاسم ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ، أحد أئمة الشافعية وحفاظ الحديث ونقادهم ، مات سنة 535 . انظر ترجمته في «السير» (80/20).

والذي وصفه بأنه إمام الشافعية في وقته الإمام ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» ، ص 268 ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[3] (101/1 ، 183 ، 188 – 190) ، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي ، الناشر: دار الراية – الرياض.

[4] يعني الإمام أحمد.

[5] الجهمية تنكر حديث عروج النبي ﷺ بجسده وروحه إلى السماء يقظة ، والذي ورد في قصة الإسراء ، قالوا: (عُرِج بروحه دون جسده) ، ليفِرُّوا بذلك من القول بعلو الرب عز وجل بظنهم ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وحديث المعراج مخرج في

العرش[1] ، فصحَّحها أبو عبد الله وقال: قد تلقَّتها العلماء بالقبول ، نُسَلِّم الأخبار كما جاءت.

فقلت له: إن رجلا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت.

فقال: يُجفى[2].

وقال: ما اعتراضُه في هذا الموضع؟ يُسَلِّم الأخبار كما جاءت.[3]

وقال حنبل[4]: سمعت أبا عبد الله يقول: قال النبي ﷺ : (يضع قدمه)[5] ، نؤمن به ، ولا نرُد على رسول الله ﷺ ما قال ، بل نؤمن بالله وبما جاء به الرسول ، قال الله عز وجل ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[6].[7]

وقال العلامة ابن القيم[8] رحمه الله ما مُحصَّلُهُ أن الصحابة اختلفوا في تأويل بعض الآيات ، وذكر أمثلة على ذلك ، ثم قال: ولم يتنازعوا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد ، بل

البخاري (3207) ومسلم (163) ، وانظر «بيان تلبيس الجهمية» (116/6) لابن تيمية رحمه الله ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة.

[1] الجهمية تؤول النصوص الواردة في ثبوت العرش واستواء الله عليه وتقول إن الله في كل مكان ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

[2] أي يُهجر.

[3] «السنة» لأبي بكر الخلال (246/1-247).

[4] هو حنبل بن إسحاق بن حنبل ، ابن عم الإمام أحمد ، رحمهما الله ، انظر ترجمته في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى الفراء (383/1).

[5] انظر صحيح البخاري (7384) ومسلم (2848) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[6] سورة الحشر: 7 .

[7] «طبقات الحنابلة» (386/1).

[8] هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُرَعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة 728 ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة 751 ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة

اتفقت كلمتهم وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها وإمرارها **مع فهم معانيها وإثبات حقائقها** ، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا ، وأن العناية بِبيانها أهم ، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين ، وإثباتُها من لوازم التوحيد ، فبيَّنها الله ورسوله بيانا شافيا لا يقع فيه لبسٌ ولا إشكال يُوقِعُ الراسخين في العلم في منازعة ولا اشتباه.

ومن شرح الله لها صدره ، ونوَّر لها قلبه ؛ يعلم أن دلالتها على معانيها أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها ، ولهذا آيات الأحكام لا يكاد يَفهم معانيها إلا الخاصة من الناس ، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترِك في فهم معناها الخاص والعام ، أعني فِهمَ أصلِ المعنى ، لا فَهمَ الكُنْهِ والكيفيةِ ، ولهذا أشكل على بعض الصحابة[1] قوله تعالى ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾[2] حتى بُيِّن لهم بقوله ﴿من الفجر﴾ ، ولم يُشكِل عليه[3] ولا على غيره قوله ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾[4] الآية ، وأمثالها من آيات الصفات.

وأيضا فإن بعض آيات الأحكام مجملة عُرِفَ بيانُها بالسُّنة كقوله تعالى ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾[5] ، فهذا مُجملٌ في قدر الصيام والإطعام ، فبيَّنته السُّنةُ بأنه صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة ، ونظائره كثيرة كآية السرقة وآية الصلاة وآية والحج.

واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

[1] يعني عدي بن حاتم رضي الله عنه.

[2] سورة البقرة: 187 .

[3] يعني عديا ، الصحابي نفسه.

[4] سورة البقرة: 186 .

[5] سورة البقرة: 196 .

وليس في آيات الصفات وأحاديثها مُجملٌ يحتاج إلى بيان من خارج ، بل بيانها فيها ، وإن جاءت السنة بزيادة في البيان والتفصيل.

فلم تكن آيات الصفات مجملة محتمِلة ، لا يُفهم المراد منها إلا بالسنة ، بخلاف آيات الأحكام.[1]

انتهى.

وقال أيضا رحمه الله في «إعلام الموقعين»: فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي:

وقد تَنَازَعَ الصَّحَابَةُ في كَثِيرٍ من مَسَائِلِ الْأَحْكَامِ ، وَهُمْ سَادَاتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَكْمَلُ الْأُمَّةِ إيمَانًا ، وَلَكِنْ بِحَمْدِ اللَّه **لم يَتَنَازَعُوا في مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ من مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ** ، بَلْ كلهم على إثْبَاتِ ما نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ كَلِمَةً وَاحِدَةً من أَوَّلِهِمْ إلَى آخِرِهِمْ ، لم يَسُومُوهَا[2] تَأْوِيلًا ، ولم يُحَرِّفُوهَا عن مَوَاضِعِهَا تَبْدِيلًا ، ولم يُبْدُوا لِشَيْءٍ منها إبْطَالًا ، وَلَا ضَرَبُوا لها أَمْثَالًا ، ولم يَدْفَعُوا في صُدُورِهَا وَأَعْجَازِهَا ، ولم يَقُلْ أَحَدٌ منهم: (يَجِبُ صَرْفُهَا عن حَقَائِقِهَا وحملُها على مَجَازِهَا) ، بَلْ تلقَّوها بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَقَابَلُوهَا بِالْإِيمَانِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَجَعَلُوا الْأَمْرَ فيها كُلَّهَا أَمْرًا وَاحِدًا ، وَأَجْرَوْهَا على سَنَنٍ وَاحِدٍ[3] ، ولم يَفْعَلُوا كما فَعَلَ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، حَيْثُ جَعَلُوهَا عِضِينَ[4] ، وَأَقَرُّوا بِبَعْضِهَا وَأَنْكَرُوا بَعْضَهَا من غَيْرِ فُرْقَانٍ مُبِينٍ ، مع أَنَّ اللَّازِمَ لهم فِيمَا أَنْكَرُوهُ كَاللَّازِمِ فِيمَا أَقَرُّوا بِهِ وَأَثْبَتُوه.[5]

---

[1] «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (1/210 – 212) باختصار.

[2] السَّوم هو تجشم إنسانٍ مشقة أو ظلما ، كما قال تعالى ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ ، فسومُ الأسماء والصفات تأويلا – كما في السياق هنا – أي ظلمها بذلك التأويل ، وغمطُها حقها الشرعي وهو إمرارها كما جاءت.

[3] أي طريقة واحدة.

[4] عِضِين أي مفرقة ، تفرق كلامهم فيها واختلف.

[5] (2/91) ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

وقال ابن عبد الهادي الحنبلي[1] رحمه الله في «الصَّارم المنكي»:

ولا يجوز إحداث تأويل في آيةٍ أو سُنّةٍ لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بَيّنوه للأمة ، فإن هذا يتضمن أنهم جَهِلوا الحق في هذا وضلوا عنه ، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر[2] ، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه؟[3]

ولما كان إثبات الصفات كما جاءت هو طريق الصحابة ؛ لم يختلفوا رضي الله عنهم في شيء منها ، بخلاف من أتى بعدهم من أهل التحريف والتمثيل وغيره من المسالك المعوجَّة.

أقوال المالكية

روى الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الأندلسي رحمه الله بسنده عن عبد الرحمٰن بن القاسم رحمه الله[4] قال: لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن ، ولا يُشبِّه يديه بشيء ، ولا وجهه بشيء ، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن ، وله وجه كما وصف نفسه ، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب ، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه ،

---

[1] هو الإمام العلامة محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي ، من تلامذة جمال الدين المزي وشيخ الاسلام ابن تيمية والذهبي ، قال الذهبي: (ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه رحمه الله تعالى). عني بالحديث وفنونه ، عدَّ له ابن رجب في ترجمته في كتاب «ذيل طبقات الحنابلة» ما يزيد على سبعين مصنفا ، توفي سنة 744 وعمره أربعون سنة أو أقل.

انظر ترجمته في آخر كتاب «تذكرة الحفاظ» للذهبي ووصفه هناك بالإمام الأوحد ، و«ذيل تذكرة الحفاظ» لمحمد بن علي الحسيني ، ص 32 ، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر ، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي ، (115/5) ، تحقيق: عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض.

[2] أي الذي جاء في القرون المتأخرة ، التي تلت القرون الثلاثة المفضلة.

[3] ص 321 ، الناشر: دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

[4] هو الإمام عبد الرحمٰن بن القاسم ، قال عنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (1149/4): أحد الأعلام ، وأكبر أصحاب مالك القائمين بمذهبه ... توفي سنة إحدى وتسعين ومئة. انتهى.

ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه ، ويداه مبسوطتان كما وصفها ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾[1] كما وصف نفسه.[2]

وقال الإمام أبو عمرو الداني[3] رحمه الله بعدما رَوى عن مكحول والزهري قولَهما في الصفات: (أَمِرَّ الأحاديثَ كما جاءت) ، قال:

وهذا دين الأمة ، وقولُ أهل السنة في هذه الصفات أن تُمَرَّ كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ، فمن تجاوز المروِيَّ فيها وكيَّف شيئا منها ومثَّلها بشيءٍ من جوارِحنا وآلاتنا فقد ضلَّ واعتدى ، وابتدَع في الدين ما ليس منه ، **وخرَقَ إجماع المسلمين** ، وفارق أئمة الدين.[4]

وقال حافظ المغرب أبو عمر ، ابن عبد البر[5] المالكي رحمه الله: ليس في الاعتقاد كلِّهِ في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صَحَّ عن رسول الله ﷺ أو أَجمَعَت عليه الأمة ، وما

---

[1] سورة الزمر: 67 .

[2] «أصول السنة» ، ص 42 ، تحقيق أحمد بن علي القفيلي ، الناشر: دار الفرقان – مصر.

[3] هو الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي القرطبي الداني ،كان أحد الأئمة في علم القراءات ، وله عدة تواليف ، وله كتاب «الأرجوزة في أصول السنة» في نحو ثلاثة آلاف بيت ، قال الذهبي: بلغني أن مصنفاته مئة وعشرون تصنيفا. مات رحمه الله سنة 444 ، انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (212/3) ، و «تاريخ الإسلام» (659/9) ، و«معرفة القراء الكبار» كلها للذهبي.

[4] «الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات» ، 56 – 59 .

[5] هو شيخ الإسلام ، حافظ المغرب ، أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي ، محدث فقيه ، صاحب التصانيف الفائقة ، أشهرها كتاب «التمهيد» في شرح أحاديث موطأ مالك ، وكتاب «الاستذكار» في شرح آثاره ، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ، و «جامع بيان العلم وفضله» ، له رواية للحديث النبوي ، توفي سنة 463 ، انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (217/3).

جاء من أخبار الآحاد في ذلك –كلِّه أو نحوِهِ – يُسَلَّمُ له[1] ولا يُنَاظَرُ[2] فيه.

ثم روى بسنده عن الأوزاعي قال: كان مكحول[3] والزُّهري[4] يقولان: أرْوُوا هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا تُناظِروا فيها.

قال أبو عمر[5]: نحو حديث التنزل ، وحديث: إن الله عز وجل خلق آدم على صورته ، وأنه يُدخِلُ قدمه في جهنم ، وأنه يضع السماوات على إصبع ، وأن قلوب بني آدم بين أُصبُعين من أصابع الرحمٰن ، يُقلِّبها كيف يشاء ، وإن ربكم ليس بأعور ، وما كان مثل هذه الأحاديث.[6]

وقال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المالكي[7] رحمه الله:

فإذا كان معلوما أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ؛ فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا: (يد وسمع وبصر ونحوها) ؛ فإنما

---

[1] أي يُسلَّم للخبر ، فأخبار آحاد الناس مقبولة إن صحت.

[2] المناظرة هي المناقشة بين طرفين ، فقوله (لا يُناظر فيه) أي لا تُجعل صفات الله تعالى عُرضةً للمناقشة والجدل ، بل الواجب هو التسليم لمعناها الظاهر وإمرارها كما جاءت.

[3] هو عالم أهل الشام ، أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم الهذلي ، الفقيه الحافظ ، مات سنة 113 . انظر «تذكرة الحفاظ» (82/1).

[4] هو أعلم الحفاظ ، أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، مات سنة 124 ، وقيل غير ذلك. انظر «تذكرة الحفاظ» (83/1).

[5] أبو عمر هي كنية ابن عبد البر رحمه الله.

[6] «جامع بيان العلم وفضله» ، باب ما يكره فيه المناظرة.

[7] «إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله ، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان ، وهو كامل في معناه ، وله كتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» ، وكتاب «التذكرة» وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثره اطلاعه». انتهى باختصار يسير من «تاريخ الإسلام» للذهبي (229/15 – 230). توفي رحمه الله سنة 671 هـ.

هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ، لا نقول (إن معنى اليد: القوة والنعمة) ، ولا (معنى السمع والبصر: العلم) ، ولا نقول: (إنها جوارح وأدوات الفعل) ، ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة ، فلم يتأولوا ، وكذلك جميع الصفات أجرَوها على ظاهرها ، ونفوا الكيفية والتشبيه عنها.[1]

قلت: وانظر ما قاله الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[2] رحمه الله وهو من متأخري المالكية ، فقد قرر ما قرره أسلافه ، ولولا خشية الإطالة لنقلنا كلامه ، ولذا نكتفي بالإحالة على ما قرره في هذا الباب.[3]

---

[1] «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (10/2) ، باختصار يسير. الناشر: دار الصحابة للتراث – طنطا.

[2] هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرَّزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، وذو بصيرة بمذاهب المتكلمين ووجوه بطلانها ، انظر ما قاله رحمه الله عند تفسير الآية 54 من سورة الأعراف.

وللشيخ نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جُمِعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي».

توفي رحمه الله عام 1393 هـ.

باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[3] انظر المراجع التالية:

1. «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» ، وقد طبع عدة طبعات.
2. كتابه «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» ، تفسير سورة الأعراف: الآية 54 .
3. كتابه «منع جواز المجاز في المنزَّل للتعبد والإعجاز» ، فصل: (بيان معنى الحقيقة في آيات الصفات) ، وهو مطبوع مع كتابه «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ، ضمن مجموع مؤلفاته الموسومة: (آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي) ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

خلاصة

خلاصة ما تقدم من التقريرات العلمية أن أهل السنة يفهمون صفات الله تعالى كما فهمها النبي ﷺ وصحابته والتابعون ، أصحاب القرون الثلاثة الأولى ، من غير غلو ولا جفاء ، فلا يُغالون في إثبات الصفات بتمثيلها بصفات المخلوقين ، ولا يقِفون من صفات الرب موقف الجفاء بنفي حقائقها ومعانيها كما فعلت الجهمية ، بل يقفون موقفا وسطا ، فيؤمنون مثلا بمجيء الرب يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد بحسب معنى المجيء المفهوم في اللغة العربية التي خاطبهم الله بها ، ويؤمنون به ، ولكنهم لا يُمثِّلونه على نحو معين ، وذلك لسببين ؛ **الأول**: أن كيفية صفات الرب من الغيب الذي أخفاه الله عنا ، وما كان من الغيب فتصوُّره في الذهن من العبث.

والثاني أن أهل السنة يؤمنون أن الله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، والمثلية تعم ذاته وصفاته ، فإذا كان الأمر كذلك فادعاء علم كيفية صفاته من الكذب والقول على الله بغير علم ، حمانا الله من ذلك.

فصل في بيان الواجب الثاني في أسماء الله وصفاته

أما الأمر الثاني الواجب في أسماء الله وصفاته فهو التَّوقف في إثبات الأسماء والصفات على ما جاء في الكتاب والسنة[1] **، وعدم اختراع أسماء وصفات لله لم ترد فيهما** ، وهذا هو هدي السلف رحمهم الله ، قال الإمام أحمد: لا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل.[2]

[1] ما تقدم ذكره هو الأمر الأول الواجب في أسماء الله وصفاته ، وهو: فَهمها كما جاءت ، كما تقدمت الإشارة إليه في أول هذا القسم من الكتاب ، ومن هنا يبدأ الكلام في الأمر الثاني الواجب في أسماء الله وصفاته.

[2] رواه القاضي أبو يعلى عنه في «طبقات الحنابلة» (386/1) في ترجمة حنبل بن إسحاق.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير[1]: الحمد لله الذي مِنَ الإيمانِ به الجهلُ بغيرِ ما وصفَ مِنْ نفسِهِ.

ثم أخذه عنه عبد العزيز بن الماجَشون[2] ، ثم أخذه عنه سَحنون[3].[4]

وقال ابن عبد البر المالكي رحمه الله:

ألا ترى أنا نقول: له عرش ، ولا نقول: له سرير ، ومعناهما واحد.

ونقول: هو الحكيم ، ولا نقول: هو العاقل.

---

[1] هو الإمام القدوة الحجة مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري البصري ، أحد الأعلام ، حدَّث عن عثمان وعلي وأبي ذر وأبيه وعمار بن ياسر وعمران بن حصين وعائشة وعياض بن حمار وعبد الله بن مغفل رضي الله عنهم.

انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (1172/2) ، و «السير» (187/4) ، كلاهما للذهبي رحمه الله.

وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (72/7): كان ثقةً ، له فضل وورعٌ ورواية وعقل وأدب.

[2] هو الإمام العلم الفقيه ، عبد العزيز بن عبد الله بن الماجشون ، من أقران الإمام مالك ، قال ابن وهب: حججت مرة فسمعت منادٍ ينادي: لا يفتي إلا مالك وعبد العزيز بن الماجشون". توفي رحمه الله سنة 164 . انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (163/1).

[3] سحنون بفتح السين وضمها هو الإمام العلامة فقيه المغرب ، عبد السلام بن حبيب التَّنوخي المالكي ، قاضي القيروان ، ساد أهل المغرب في تحرير المذهب المالكي ، وانتهت إليه رئاسة العلم. من أعظم آثاره العلمية كتاب «المدونة» ، والتي دَوَّنَ فيها أسئلة أسد بن الفرات لابن القاسم المالكي ، شيخ سحنون. توفي رحمه الله سنة 240 هـ. انظر ترجمته في «السير» (63/12).

[4] قال ابن عبد البر في «التمهيد» (136/6): قال سحنون: من العلم بالله ؛ الجهل بما لم يُخبِر به عن نفسه.

وذكره ابن قدامة المقدسي الحنبلي عنه في «ذم التأويل» ، ص 263 .

وهذا الكلام أخذه سحنون عن ابن الماجشون ، قال: أخبرني الثقة عن الثقة عن الحسن بن أبي الحسن قال: لقد تكلم مُطرِّف ابن عبد الله بن الشخير على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده.

قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟

قال: قال: الحمد لله الذي من الإيمان به الجهل بغير ما وصف من نفسه.

انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله من «التمهيد» من كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (146/7) من ط المغربية.

ونقول: خليل إبراهيم ، ولا نقول: صديق إبراهيم ، وإن كان المعنى في ذلك كله واحدا.

لا نُسمِّيه ولا نَصِفه ولا نُطلق عليه إلا ما سَمَّى به نفسه ، على ما تقدم ذِكرُنا له من وَصْفِه لنفسِه لا شريك له ، ولا نَدفع ما وصف به نفسه ، لأنه دفعٌ للقرآن[1].[2]

[1] أي ردٌّ للقرآن.

[2] «التمهيد» (129/6) ،كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (136/7) من ط المغربية.

فصل في بيان ما ينافي الإيمان بأسماء الله وصفاته

مقدمة

ضِدُّ الإيمان بأسماء الله وصفاته الإلحادُ فيها ، قال تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾[1].

والإلحاد في اللغة هو الميل ، ومنه سُمِّي اللَّحدُ في القبر لحدا ، لأنه مائل إلى جانب القبر ، فالإلحاد في أسماء الله وصفاته هو الميل فيها عما يجب فيها من الحقوق[2] ، وهو منافٍ للإيمان بأسماء الله وصفاته ، ومن القول على الله بلا علم ، ومن البدع الكلامية التي اشتد نكير السلف الصالح وأتباعهم على القائلين بها ، ومن المعاصي التي توعد الله فاعليها بالعذاب عياذا بالله كما في الآية المتقدمة ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

والإلحاد أنواع ثمانية ، نذكرها على سبيل السَّرد ، ثم نشرح كل واحدٍ منها بما يسر الله تعالى:

الأول: التعطيل

الثاني: التمثيل

الثالث: التكييف

الرابع: التحريف

الخامس: التفويض

---

[1] سورة الأعراف: 180 .

[2] تقدم في أول هذا البحث ذكر أن الواجب في أسماء الله تعالى وصفاته أمران: الأول: فهمها كما جاءت ، والثاني: الوقوف على الوارد منها.

السادس: تسمية الله بما لم يُسِمِّ به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، أو وصفه بما لم يصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

السابع: إنكار أن يكون لله أسماء

الثامن: اشتقاق أسماء للمعبودات الباطلة من أسماء الله الحسنى

فصل

قبل الدخول في شرح أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته ؛ فإنه يحسن التنبيه إلى أن هذه الأنواع الثمانية أو أكثرها ليست إلا منتجات ما يسمى بعلم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة ومنتجات عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته لآيات الصفات.

فعلم الكلام يدور على إثبات أمور العقائد بالأدلة العقلية والطرق الجدلية مع الإعراض عما في القرآن والسنة من الأدلة النقلية الدالة على أصول الدين.

ولا شك أن من قدم العقل على الشرع ، واستغنى بفهمه وعقله عن فهم النبي ﷺ وصحابته فإنه ضال ، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[1].[2]

وقال الشافعي رحمه الله: من ارتدَى بالكلام لم يُفلح.[3]

---

[1] الدغل هو الفساد. انظر «لسان العرب».

[2] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (1796).

[3] رواه البيهقي بإسناده عن الشافعي في كتابه «مناقب الشافعي» (463/1).

وقال أيضا: حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ، ويُحملوا على الإبل ، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل ، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام.[1]

قال ابن القيم رحمه الله بعدما نقل كلام الشافعي: وقد اتفقت الأئمة الأربعة على ذم الكلام وأهله ، وكلام الإمام الشافعي ومذهبه فيهم معروف عند جميع أصحابه.[2]

قلتُ: ومما يبين بطلان علم الكلام تراجع بعض أئمته عنه ، فمن ذلك ما قاله إمام الحرمين ، شيخ الشافعية ، أبو المعالي ، عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري[3] رحمه الله في مرض موته متراجعا عن المقالات الكلامية التي كان يقول بها:

اشهدوا علي أني قد رجعتُ عن كل مقالة تخالف السنة ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.

---

[1] رواه البيهقي بإسناده عن الشافعي في كتابه «مناقب الشافعي» (462/1) ، وابن أبي حاتم الرازي في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص 143) ، وكذا ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (1794).

[2] «إعلام الموقعين» (220/4) ، فصل: فقهاء المذهب المقلدون – إخراج النصوص عن ظاهرها بالتأويل الفاسد.

[3] هو إمام الحرمين ، أبو المعالي ، عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف الجويني ، النيسابوري ، شيخ الشافعية في زمانه ، وقع في الاعتزال في أول أمره ، ثم لما اراد الله به خيرا رجع إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، وألف في ذلك كتاب «الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية» ، وله مقالات مشهورة عنه قالها بعد تراجعه عن الاعتزال ، منها قوله: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام) ، أي علم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة ومنتجات عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته ، فهو لا يعدو عن كونه كلام البشر ، فسمي بعلم الكلام ، وهو مذموم بلا شك ، ودرجة الانحراف فيه تتفاوت بحسبه.

ومما قاله رحمه الله متراجعا عن المقالات الكلامية ؛ قوله في مرض موته لمن حوله: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة ، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور.

وقال يوما لأصحابه: يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

توفي رحمه الله سنة 478 ، وقد ترجم له الذهبي في «السير» (468/18).

وقال يوما لأصحابه: يا أصحابنا ، لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال مرَّةً: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام.

وله كلام طويل في تراجعه عن مذهبه الكلامي ذكره في رسالته المعروفة بـ «الرسالة النظامية» ، ونقلها الذهبي في ترجمته في «سير أعلام النبلاء»[1].

وكلام السلف في ذم علم الكلام كثير جدا ، وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي كتابا ضخما بعنوان «ذم الكلام وأهله» ، فليراجعه من أراد التوسع.

[1] (18/468).

شرح أنواع الإلحاد الثمانية

الأول: التعطيل ، وهو التفريغ ، أي تفريغ الاسم أو الصفة عما دَلَّت عليه من معنى ، لأن معنى التعطيل في اللغة هو التَّخلية والترك ، ومنه قوله تعالى ﴿وبئر معطلة﴾[1] ، أي متروكة ومهجورة ، وحقيقة التعطيل إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات ، سواء كان تعطيلا كليا أو جزئيا ، وسواء كان ذلك بتحريف المعنى أو جحْده.

وتعطيل أسماء الرب وصفاته هو منهج الجهمية كما ذكرنا في أول هذا الكتاب ، ولذا يُسمَّون أيضا بالمعطلة ، وشبهتهم فيما ذهبوا إليه أنَّ إثبات الأسماء والصفات يستلزم تشبيهَ اللهِ بخلقه ، وهذا الزعمُ باطل لوجوه منها:

الأول: لو كان إثباتها يستلزم التشبيه للزِم التناقض في كلام الله ، وتكذيب بعضه بعضًا ، وهذا مُحال ، والحق أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات ، مع نفيه أن يكون كمثله شيء.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسمٍ أوصفةٍ أن يكونا متماثلين ، فأنت ترى الشخصين يتفقان في كون كلٍ منهما سميعًا بصيرًا متكلمًا ، ولا يلزم من ذلك أنْ يتماثلا في قُدُرات السمع والبصر التي يتمتع بها كل واحد منهما ، وترى الحيوانات لها أيدٍ وأرجلٌ وأعينٌ ، ولا يلزم من هذا الاتفاق أن تكون أيدِيْها وأرجلُها وأعينُها متماثلةً في صُوَرِها.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء أوصفات ؛ فالتباين بين الخالق والمخلوق أبينُ وأعظم.

وما من معطلٍ عطَّلَ صفةً لله تعالى إلا وقع في شرٍّ مما زعم أنه فرَّ منه ، فالذين تأوَّلوا نصوص العلو والفوقية والاستواء بدافع تنزيه الله – بزعمهم – من التحيز والحصر ، وقالوا: (هو في كل مكان) ؛

[1] سورة الحج: 45 .

وقعوا في شرٍّ من تنزيههم المزعوم ، وهو ما يلزم من كلامهم من أن الله يحِل في أجواف الحيوانات وأماكن الخلاء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[1]

كلمة جامعة في هذا الباب

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي[2] رحمه الله في كتابه «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» في تفسير قول الله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[3]:

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية ، كالاستواء ، والنزول ، والمجيء ، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه ، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته ، من غير تشبيه ولا تحريف ، خلافا للمعطلة على

---

[1] انظر للتوسع في معرفة بطلان مقولة الجهمية والمعطلة (إن إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه) هٰذان المصدران:

الأول: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» ، الفصل الثامن: في بيان خطئهم في فهمهم من النصوص المعاني الباطلة التي تأوَّلوها لأجلها ، فجمعوا بين التشبيه والتعطيل. وقد رد هذه الشبهة من أحد عشر وجها.

الثاني: ما ذكره الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» ، تفسير سورة محمد ، الآية 24 من عند قوله رحمه الله: وبما ذكرنا يتبين أن من أعظم أسباب الضلال ادعاء أن ظواهر الكتاب والسنة دالة على معان قبيحة ليست بلائقة ....

[2] هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام 1307 وتوفي عام 1376 هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

[3] سورة البقرة ، الآية 210 .

اختلاف أنواعهم ، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن ينفي هذه الصفات ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان ، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله ، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصُل به الهداية في هذا الباب ، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي ، بل ولا دليل عقلي ، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة ، ظاهرها بل صريحها ، دال على مذهب أهل السنة والجماعة ، وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها ويُزاد فيها وينقص ، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات ، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل ، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال ، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه ، قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات ، فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات ، فلِلَّه صفات لا تشبهها الصفات ، فصفاته تبع لذاته ، وصفات خلقه تبع لذواتهم ، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

ويقال أيضا لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضا ، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله ، وإما أن تنفي الجميع وتكون منكرا لرب العالمين ، وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض ، ففَـرِّق بين ما أثبـتَّـهُ وما نفيتَـه ، ولن تجد إلى الفرق سبيلا.

فإن قلت: ما أثبـتُّـهُ لا يقتضي تشبيها ، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيتَه لا يقتضي تشبيها.

فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيتُه إلا التشبيه ، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتَّـه إلا التشبيه ، فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة لما نفيتَـه.

والحاصل أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض ، لا يَـثبت له دليل شرعي ولا عقلي ، بل قد خالف المعقول والمنقول.

انتهى كلامه رحمه الله.

النوع الثاني من أنواع الإلحاد هو التمثيل ، وهو دعوى أن صفات الله – أو بعضها – تُماثِل صفات المخلوقين ، وشبهة من ادَّعى ذلك أن الله خاطب الناس بما يفهمون ويعقلون ، فإذا وصَفَ اللهُ نفسَهُ بأن له وجها ؛ لزِم من ذلك — بزعمهم – أن وجهه كوجوه المخلوقين ، بزعمه ، لأن الوجه هو ما يتعارف الناس عليه ، وأكمل الوجوه وجوه البشر ، فوجه الله كوجه الإنسان ، هكذا قالوا!

وهذا الزَّعم باطلٌ من أربعة أوجه:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يُبطله الشرعُ والعقلُ ، فأما دليل الشرع فقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ، وقوله ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾[1] ، وقوله ﴿هل تعلم له سميا﴾[2] ، والسَّمِيُّ هو المُسامي أي المماثل ، وقوله ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾[3] ، وقوله ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾[4] ، والنِّدُّ هو النظير والمثيل ، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلا.

وأما دلالة العقل على بطلان مماثلة الخالق للمخلوق فظاهرٌ ، لما بينهما من التباين العظيم ، فالخالقُ مُوجِدٌ والمخلوقُ مُوجَدٌ ، والخالق أَبَدِيُّ الوجودِ والمخلوقُ فانٍ.

---

[1] سورة الشورى ، الآية: 11 .

[2] سورة مريم ، الآية: 65 .

[3] سورة الإخلاص: 4 .

[4] سورة البقرة ، الآية: 22 .

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما حقيقة وكُنْه ذلك المعنى فهو من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، سواء فيما يتعلق بذاته أو صفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى ، وهو إدراك الأصوات ، لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه ؛ فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم ، لكن حقيقةَ الاستواءِ التي هو عليها غير معلومة ، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق ، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رَحْلِ[1] بعيرٍ صعبٍ نَفور ، فإذا تباينت في حق المخلوق ؛ فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبينَ وأعظم.

الثالث: أن تشبيه الخالق بالمخلوق فيه تنقصٌ للخالق ، لأن المخلوق ناقص في صفاته كما هو معلوم ، وتَنَقُّصُ الخالقِ كفرٌ عِياذا بالله ، كما هو معلوم.[2]

الرابع: أن الوجه الوارد في الآية مضاف إلى الله تعالى ، والمضاف يكون بحسب ما أضيف إليه ، فوجه الإنسان يليق بالإنسان ، ووجه الله يليق بالله ، ووجه الهر يليق بالهر ، وهكذا.

فنحن نثبتُ للإنسان وجها وللأسد وجها وللهِرِّ وجها ، ولا يلزم من هذا الإثبات التماثل.

والمنهج الذي يسير عليه أهل السُّنةِ والجماعةِ – جعلنا الله منهم – إثبات الصفات لله عز وجل بدون مماثلة ، فيقولون: إن الله عز وجل له حياة ولكنها ليست كحياتنا ، فحياة الله كاملة ، ليس

---

[1] الرَّحِل هو ما يوضع على ظهر البعير للركوب. انظر «المعجم الوسيط».

[2] «العلو» رقم 464 ، وكذا ذكره في كتاب «العرش» ص 93 - 94 ، وصححه.

لها بداية ولا نهاية ، كما قال تعالى ﴿هو الأول والآخِر﴾[1] ، أما المخلوق فحياته محدودة ببداية ونهاية.

وكذلك يصفون الله بالعلم ، ولكنه علمٌ كامل ، لا يعتريه نقصٌ ولا نسيان كما هو الحال بالنسبة لعلم المخلوقين ، وكذلك يصفونه بأن له يدا ، ولكنها ليست كيد المخلوق ، وهكذا العين والسّاق والوجه وغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

فصل في ذكر بعض ما جاء عن السلف في ذم تشبيه الله بخلقه

الأثر الأول: روى الذهبي بإسناده إلى نُعَيْم بن حماد الخُزاعي – شيخ البخاري – قال:

من شبَّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها.[2]

وذكره اللالكائي[3] عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم قال: قال نُعيم بن حماد:

من شَبّه الله بشيءٍ من خلقه فقد كَفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها.[1]

---

[1] سورة الحديد: 3 .

[2] «العلو» رقم 464 ، وخرجه في «سير أعلام النبلاء» (610/10) من طريق آخر ، وذكره في كتاب «العرش» ص 93 - 94 وصححه.

[3] هو الإمام الحافظ المُجَوِّد ، أبو القاسم ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي ، صنف كتابه المشهور «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم» ، وهو كتاب مصنف بالأسانيد ، توفي رحمه الله سنة 418 . انظر ترجمته في «السير» (419/17).

وذكر اللالكائي عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم قال: قال إسحاق بن راهويه[2]:

من وصَفَ الله فشبَّه صفاته بصفاتِ أحدٍ من خلق الله فهو كافر بالله العظيم ، لأنه وصفٌ لصفاته ، إنما هو استسلام لأمر الله ولِما سن الرسول ﷺ .[3]

وقد علَّقَ الذهبي رحمه الله على قول نعيم بن حماد المتقدم بقوله:

هذا الكلام حق ، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات ، فما يُنكِر الثابت منها مَن فَقُهَ ، وإنما بعْدَ الإيمان بها هنا **مقامان مذمومان**:

تأويلها وصرفها عن موضوعِ الخطاب ، فما أوّلها السلف ولا حرّفوا ألفاظَها عن مواضعها ، بل آمنوا بها ، وأَمَرُّوها كما جاءت.

المقام الثاني: المبالغة في إثباتها ، وتَصوُّرها من جِنس صفات البشر ، وتَشكُّلها في الذهن ، فهذا جهل وضلال ، وإنما الصِّفة تابعة للموصوف ، فإذا كان الموصوف عز وجل لم نَرَهُ ، ولا أخبرنا أحدٌ أنه عايَنَه – مع قوله لنا في تنزيله ﴿ليس كمثله شيء﴾ – ؛ فكيف بَقِيَ لأذهاننا مجالٌ في إثبات كيفية الباريء؟ تعالى الله عن ذلك.

فكذلك صفاتِه المقدسة ، نُقِرُّ بها ونعتقد أنها حق ، ولا نُمثِّلها أصلا ولا نتشكَّلُها[4].[5]

الأثر الثاني: قال الترمذي في «سننه»[1] لما روى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مُهْرَهُ[2] ...) ، قال:

---

[1] «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، رقم (936).

[2] هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي ، ثقة حافظ مجتهد ، مات سنة 38 . انظر ترجمته في «السير» (358/11).

[3] «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ، رقم (937).

[4] أي لا نتصورها في الذهن.

[5] «سير أعلام النبلاء» (610/10-611).

وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات وننزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا:

قد ثبتت الروايات في هذا ، ويُؤمَن بها ، ولا يُتَوهَّم ، ولا يُقال: كيف؟

هكذا رُوي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: (أَمِرُّوها بلا كيف) ، وهكذا قولُ أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية فأنكرتْ هذه الروايات ، وقالوا: هذا تشبيه.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضعٍ من كتابه اليدَ والسمعَ والبصرَ ، فتأولتِ الجهميةُ هذه الآياتِ ، ففسروها على غير ما فَسَّر أهل العلم ، وقالوا: إن الله لم يخلق آدمَ بيده ، وقالوا: إن معنى اليد هٰهنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم[3]: إنما يكون التشبيه إذا قال (يدٌ كَيَدٍ)[4] ، أو: (مثلُ يدٍ) ، أو: (سمعٌ كسمعٍ) ، أو: (مثل سمعٍ) ، فإذا قال: (سمع كسمع) أو (مثل سمعٍ) فهذا التشبيه ، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: (يدٌ وسمعٌ وبصرٌ) ، ولا يقول (كيف) ، ولا يقول: (مثل سمعٍ) ، ولا (كسمعٍ) ؛ فهذا لا يكون تشبيها ، وهو كما قال الله تعالى في كتابه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

انتهى كلام الترمذي رحمه الله.

---

[1] رقم (662).

[2] المُهْر هو صغير الخيل.

[3] هو ابن راهويه ، الإمام المعروف.

[4] أي: يدُ الله كيد كذا من المخلوقين.

فالحاصل أن تشبيه الله بخلقه شرك بالله تعالى سواء كان ذلك في أسمائه الخاصة به كالتسمية بالله أو الرحمٰن ، أو في صفاته ، كوصف بعض المخلوقين بعلم الغيب ، وأما من تَسمّى بأسماء مشتركة بين الله وبين خلقه ، أو وصف المخلوقين بأوصاف مشتركة بين الله وبين خلقه ، ، كالرحيم والجميل ونحوها ، فهذا جائز ، لأن الله تعالى قد جعلها مشتركة.

وبكل حال فالواجب هو إفراد الله بصفات الكمال على الوجه اللائق به ، ووصف المخلوق بصفاته على وجه النقص اللائق به.

فائدة: ذكر الشيخ ابن عثيمين[1] رحمه الله في شرحه على «العقيدة الواسطية»[2] بعض الأحاديث التي يوهم ظاهرها التشبيه ، وأجاب عنها ، فليرجع إليها من أراد الاستفادة.

---

[1] هو الشيخ الأصولي الفقيه المفسر محمد بن صالح بن عثيمين ، من علماء القرن الخامس عشر الهجري ، برّز في العقيدة والفقه والتفسير ، نفع الله به الناس في زمانه نفعا عظيما ، وانتشر علمه في الآفاق ، سواء منه ما كان مسجلا على الأشرطة أو ما كان مدونا في الكتب ، له طلبة كثر ، جُمعت فتاواه ورسائله فوقعت إلى حين كتابة هذه الأسطر في 29 مجلدا ، وبعد وفاته استؤجرت قناة فضائية لبث علمه ، فتضاعف انتشار علمه على ما كان في حياته ، وهذا من دلائل إخلاصه ، نحسبه كذلك والله حسيبه ، والله يؤتي فضله من يشاء.

انظر ترجمته في كتاب «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[2] (1/105 - 110)

النوع الثالث من أنواع الإلحاد: التكييف

مقدمة

الصفات من حيث معناها الكلي في الذهن معناها واحد ، فالسمع مثلا هو إدراك الأصوات ، والبصر هو إدراك المرئيات ، والعلم هو إدراك المعلومات ، وهَـلُمَّ جرًّا ، لكن هذه الصفات إذا أضيفت إلى الذوات فإن كيفيتها تختلف بحسب من أضيفت إليه ، فالسمع يتفاوت بين المخلوقين ، فبعض المخلوقات مرهفة السمع جدا كالغزال ، وبعضها أقل منه كبني آدم ، فالمقدرة على إدراك الأصوات تتفاوت بين أصناف المخلوقات تفاوتا نسبيا ، وهو في حقها غير كامل بكل حال ، فليس أحد من المخلوقات يسمع كل ما يدور في الكون قطعا.

أما الله تعالى فإنه سميع ، والسمع في حقه كامل ، فهو يسمع كل شيء ، يسمع كل ما يدور في الكون ، يسمع السِّـر وأخفى ، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخـرة الصَّماء في الليلة الظلماء ، فكيفية السمع في حق الله كاملة ، وفي حق المخلوقين ناقصة.

وعودا على بدء ؛ فأصل معنى السمع مشترك بين الله وبين خلقه ، وهو إدراك الأصوات ، أما كيفيته فتختلف بحسب من أضيفت إليه ، ففي حق المخلوق الناقص فإن السمع محدود ، لأن المخلوق ناقص أصلا في خلقته وفي صفاته ، أما الله تعالى فإن سمعه كامل ، لأن الله كامل في صفاته أصلا ، فسمع المخلوق كما يليق به ، وسمع الخالق كما يليق به ، وقِس على ذلك باقي الصفات.[1]

[1] استفدت هذه المقدمة من كتاب «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» (498/1) للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله.

تعريف التكييف وبيان حكمه

التكييف هو ادِّعاء معرفة كيفية الصفة من صفات الله تعالى ، أو تشكيلها وتقديرها بالذهن ، كتصور صفة المجيء والاستواء والنزول والكلام لله تعالى على نحو معين ، فهذا المسلك في فهم الصفات محرم ، لأنه ضربٌ بالغيب ، ودليل التحريم سمعي وعقلي ، **فأما الدليل السمعي** فقوله تعالى ﴿ولا يحيطون به علما﴾[1] ، ففي هذه الآية الكريمة قطع الله الطمع عن إدراك كيفية صفاته.

وقال تعالى ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[2].

ولا يُفهم من تحريم تكييف صفات الله أن ليس لها كيفية ، حاشا لله ، بل لها كيفية ، ولكن البشر يجهلونها لأنها من الغيب ، وليس المراد نفي الكيفية مطلقا.

فمن كيّفَ صفةً من صفات الله فقد كذَب على الله ، وقال عليه ما لا يعلم ، لأنه ادعى الاطلاع على أمر غيبي في حين أنه لم يطّلِع عليه في حقيقة الأمر.

وقد تقدم في أول الكلام على الإيمان بأسماء الله وصفاته ذكر بعض أقوال السلف الصالح رضوان الله عنهم في ذم التكييف ، وبيان أنه منهج مبتدع ، منافٍ للإيمان بأسماء الله وصفاته ، وسيأتي إن شاء الله بيان مزيد منها.

أما الدليل العقلي لامتناع التكييف فإنه لا يمكن لأي إنسان أن يعرف كيفية الشيء إلا بأحد أمور ثلاثة ؛ بمشاهدته أو مشاهدة نظيرهُ أو الخبر الصادق عنه ، فإذا لم يتمكن من واحدة منها فلا سبيل إلى العلم بكيفيتها.

---

[1] سورة طه: 110 .

[2] سورة الإسراء: 36 .

فلو أن رجلا شاهد آلة وهي تعمل ؛ فإنه سيعرف كيفية عملها لأنه شاهد ذلك بعينه.

ولو أنه شاهد نظيرَةَ تلك الآلة ومثيلتها لعرف كيفية الآلة الأولى ، لأنه شاهد مثيلتها ونظيرتها.

ولو أن رجلا صادقا قال له: عندي آلة صفتها كذا وكذا ، وذكر من أوصافها كما لو أنه يراها رأي عين ؛ لعلِم كيفية تلك الآلة.

فإذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة العقلية على صفات الله عز وجل فإنا نجد أنه لا يمكن معرفة صفات الله بهذه الوسائل الثلاثة ، لأننا لم نشاهد صفاتِه ، ولم نَرَ مثيلها ، ولم نُخْبَر عن كيفيتها ، فمن أين سنعرف كيفية تلك الصفات إذًا؟!

ومما يدل على بطلان التكييف عقلا ؛ أن ادعاء ذلك سيؤدي إلى اضطراب عظيم ، لأن كل إنسان سَيَدَّعي معرفة كيفيةً صفة من صفات الله على غير دعوى الآخر ، لأنه ليس هناك ضابط يضبط تصورهم لتصور تلك الصفة على طريقة واحدة ، لكون دعاواهم ما هي إلا تَتاج عقول بشرية قاصرة وفرَضيات ذهنية ودعاوى غيبية ، ولا يَسْلَم من هذا كله إلا من سَلَّم أمرَه لله ، ووقف عند ما أُمِر بالإيمان به ، وتَرَك الخوض والمراء[1] في الدين.

وثمَّة وجهٌ آخر ، وهو أنَّا قد أُمِرنا بأن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالجنة ونعيمها ، وبالنار وجحيمها ، مع كونِه من المعلوم أنا لا نُحيط علما بكيفية كل شيء منها ، فلسنا نعلم كيفية الملائكة ، ولا كيفية الأنبياء ، ولا كيفية الجنة ، كما قال تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ ، وقال النبي ﷺ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

---

[1] المِراء هو الجِدال على مذهب الشك والريبة ، وقد خص ابن الأثير المِراء المذموم بالكلام في القدر وما تضمنه كلام أهل الكلام من الخوض في صفات الرب عز وجل ، أما الكلام في الأحكام والحلال والحرام فجائز ، إذ قد ورد عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم. انظر «النهاية» ، مادة: مَرا.

كذلك فإننا لا نعلم صفة النار وهكذا ، وما ذاك إلا لأننا كُلِّفنا بالإيمان بها على سبيل الإجمال ، ولم نؤمر بالخوض في كيفية التفاصيل ، ولم يكن ذلك قادحا في الإيمان بهم ، فكذلك الأمر بالنسبة لأسماء الله تعالى وصفاته.[1]

ولما كان التكييف مسلكا باطلا ، وضربا بالغيب ؛ قال ابن القيم رحمه الله إن التكييف يترتب عليه ثلاثة محاذير ؛ نفي الحقيقة ، وإثبات التكييف بالتأويل ، وتعطيل الرب عن صفته التي أثبتها لنفسه.[2]

وصدق رحمه الله ، فمن كيَّف صفة من صفات الرب على نحو معين فقد نفى عن الله كيفية صفته الحقيقية بإثباته له كيفية من عنده.

كذلك فإنه أوَّل صفة الرب الحقيقية – أي حرَّفها – بإثباته لله كيفية تلك الصفة من عنده ضربا بالغيب.

كذلك فإنه قد عطَّل صفة الرب الحقيقية بنفيه لها وإثباته كيفية معينة لها من عنده.

تبديع السلف لمن طلب علم الكيفية

ولما كان طلبُ علم الكيفية باطلا ؛ أنكر أئمة السلف رحمهم الله على من قال به إنكارا شديدا ، وقد ورد في ذلك بضعة آثار:

الأثر الأول: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله ، ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ ، فكيف استوى؟

---

[1] انظر «الحجة في بيان المحجة» (190/1) ، وما نقله القرطبي عن الخطابي في كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (10/2 – 12).

[2] انظر «اجتماع الجيوش» ، ص 190 .

قال الراوي: فأطرق مالك رأسه حتى علاهُ الرُّحَضَاء[1] ، ثم قال: **الاستواء غير مجهول** ، والكيف غير معقول[2] ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، فأَمر به أن يُخرَج.[3]

قال مقيده عفا الله عنه: كلام الإمام مالك ميزان لجميع صفات الله تعالى[4] ، فمن سأل عن كيفيةِ صفةٍ من صفات الله فإنه يقال له: أنت مبتدع ، والواجب عليك أن تؤمنَ بما أُنزل إليك ، وتسكُتَ عما لم يبلُغْك ، وتتركَ التعمق في الدين ، وتكلُّفَ علمَ ما لم تؤمر بعلمه.

وقل له أيضا: إن الله أخبرنا عن الصفة ولم يخبرنا عن كيفيتها.

---

[1] أي العرق.

[2] أي غير معقول الكيفية ، ولا تدركه العقول.

وقد جمع طرق هذا الأثر وشرحه شرحا موسعا فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في مؤلف له بعنوان: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» ، وهو مطبوع ضمن كتابه «الجامع للبحوث والرسائل» ، الناشر: دار كنوز إشبيليا – الرياض.

[3] رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (867 ، 866).

وقد جمع طرق هذا الأثر وشرحه شرحا موسعا فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في مؤلف له بعنوان: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» ، وهو مطبوع ضمن كتابه «الجامع للبحوث والرسائل» ، الناشر: دار كنوز إشبيليا – الرياض.

[4] وللفائدة ؛ فقد أُلِّفت رسالة علمية في عقيدة الإمام مالك بعنوان: «منهج الإمام مالك رحمه الله في إثبات العقيدة» للشيخ سعود بن عبد العزيز الدعجان ، الناشر: مكتبة الإمام ابن تيمية – القاهرة.

وقال يحيى بن إبرهيم بن مزين[1] معلقا على كلام مالك:

والنجاة في هذا[2] ؛ الانتهاء إلى ما قال الله عز وجل ووصَف به نفسه ، بوجهٍ ويدينِ وبَسْطٍ[3] واستواءٍ وكلامٍ ، فقال ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[4] ، وقال ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[5] ، وقال ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾[6] ، وقال ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ ، فلْيَقل قائلٌ بما قال الله ولْيَنتَهِ إليه ، ولا يعدُوهُ ولا يُفسِّره ، ولا يقُل كيف ، **فإن في ذلك الهلاك** ، لأن الله كلّف عبيده الإيمان بالتنزيل ولم يُكلِّفهم الخوض في التأويل الذي لا يعلمه غيره ، وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسا برواية الحديث: (إن الله ضحِك) ، وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده.[7]

وقال ابن تيمية معلقا على كلام مالك:

وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء ، وأنه معلوم ، وأن له كيفية ، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا ، لا نعلمها نحن ، ولهذا بَدَّع السائِلَ الذي سأله عن هذه الكيفية ، فإن السؤال إنما يكون عن أمر

---

[1] هو يحيى بن إبراهيم بن مزين ، أبو زكريا ، عالم بلغة الحديث ورجاله ، من أهل قرطبة ، توفي سنة 259 ، انظر «الأعلام» للزركلي (134/8).

[2] أي في باب فهم أسماء الله وصفاته.

[3] أي البسط الوارد في قوله ﴿ بل يداه مبسوطتان﴾.

[4] سورة البقرة: 115 .

[5] سورة المائدة: 64 .

[6] سورة الزمر: 67 .

[7] ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» (138/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (151/7 – 152) من ط المغربية.

معلوم لنا ، ونحن لا نعلم استواءه ، وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا.[1] اهـ.

وقال أيضا: إذا قال لك قائل: كيف ينزل الى سماء الدنيا؟

فقل له: كيف هو فى نفسه؟

فإن قال: نحن لا نعلم كيفية ذاته.

فقل: ونحن لا نعلم كيفية صفاته ، وكيف نعلم كيفية صفة ولا نعلم كيفية موصوفها؟[2]

وقال أيضا: ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك[3] ، وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة رضى الله عنها موقوفا ومرفوعا ، ولكن ليس إسناده مما يُعتَمدُ عليه ، وهكذا سائر الأئمة ؛ قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته ، ولكن نعلم المعنى الذى دل عليه الخطاب ، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته ، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته ، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك ، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك ولا نعلم كيفية ذلك.[4]

وقال الذهبي معلقا على كلام مالك:

هذا ثابت عن مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة ؛ أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به ، لا نتعمق ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيا وإثباتا ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه

---

[1] «مجموع الفتاوى» (181/5).

[2] بتصرف من «مجموع الفتاوى» (575/12).

[3] سيأتي ذكر الأثر الوارد عن ربيعة قريبا إن شاء الله.

[4] بتصرف من «مجموع الفتاوى» (365/5).

الصحابة والتابعون ، ولما وسعهم إقرارهُ وإمرارهُ والسكوت عنه ، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل وعلا لا مِثلَ له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.[1]

وقال ابن عثيمين رحمه الله معلقا على كلام مالك ما مُحَصَّلُهُ إن كلام مالك ميزان لجميع الصفات ، والذين يسألون عن كيفية الصفات سؤالهم هذا بدعة ، لأن الصحابة أحرص الناس على الخير وعلى العلم بما يجب لله عز وجل من الصفات ، ومع هذا لم يسألوا قط عن كيفية صفة من صفات الله عز وجل.[2]

وقال د. أحمد بن عطية الغامدي رحمه الله معلقا على كلام مالك:

وقد رُوِي مثل هذا القول عن ربيعة شيخ الإمام مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة ، وإن من أعجب العجب أن نرى كثيرا من أصحاب مالك المتأخرين فارقوا عقيدته ، ودانوا بغيرها ، فسلكوا مسلك الأشاعرة في منهجهم العقدي ، الذي يتسم بمخالفة منطوق الوحي ، خاصة ما يتعلق بمسائل الصفات ، وهم بهذا ينزعون ثقتهم بإمام جليل لا يَحِيدون عن مذهبه في الفروع قِيدَ أَنْمُلةٍ[3] ، ويضربون بمذهبه في الأصول – الملتزم بالوحي – عُرْضَ[4] الحائط ، وهذا شأن بعض أتباع مذاهب الأئمة الآخِرين ، أبي حنيفة والشافعي وأحمد ، حيث ذهبوا مذاهب في الاعتقاد فارقوا بها ما عليه أئمتهم الذين اعتصموا بالتنزيل ولم يفارقوه ، أما أولئك الأتباع المفارقون فقد ارتضوا

---

[1] كتاب «العلو» ، ص 139 ، باختصار يسير.

[2] بتصرف من «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين ، (100/1).

[3] الأَنملة هي المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع ، ومعنى (قِيدَ أَنملة) ، أي قدرها في الطول. انظر «لسان العرب» مادة: نمل.

[4] عُرْضَ الحائط أي ناحيته ، هكذا بضم العين ، وعَرضَ الحائط – بفتح العين – خلاف طولِه. انظر «لسان العرب» مادة: عرض.

لأنفسهم مذاهب الكلام والسَّفسَطة[1] ، التي أَودَتْ بهم إلى الزيغ والضلال ، نسأل الله الهداية والثبات على الحق.[2]

الأثر الثاني: سُئل ربيعة[3] شيخ مالك عن قوله ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ ؛ كيف استوى؟

قال: **الاستواء غير مجهول** ، والكيف غير معقول ، ومِن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق.[4]

وفي رواية أنه قال: الكيف مجهول ، والاستواء غير معقول ، ويجب علي وعليكم الإيمان بذلك كله.[5]

فالشاهد قولهم: **الاستواء منه غير مجهول** ، أي معلوم معناه في لغة العرب ، وهو العلو والارتفاع.

---

[1] السَّفسطة قياس فلسفي أسَّسه فلاسفة اليونان قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وهو قياس مركب من الوهميات ، يقوم على أساس نفي الحقائق الثابتة ، وقد أطلقه بعض علماء الإسلام كابن تيمية رحمه الله على من أنكر شيئا معلوما من الدين بالضرورة ممن تأثر بطريقة الفلاسفة السوفسطائية وإن كان مقرا بأمور أخرى.

باختصار وتصرف من «معجم ألفاظ العقيدة» ، تأليف عامر عبد الله فالح ، تقديم الشيخ عبد الله بن جبرين ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض.

وانظر تعريف السفسطة في «شرح الرسالة التدمرية» ، (ص 473 ، 479) لفضيلة الشيخ د. محمد بن عبد الرحمٰن الخميس حفظه الله.

[2] حاشيته على كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» ، ص 86 – 87 .

[3] هو الإمام ، مفتي المدينة ، وعالم الوقت ، المشهور بربيعة الرأي ، من أئمة الاجتهاد ، من رواة الحديث النبوي ، كان من أوعية العلم ، ومن شيوخ الإمام مالك ، توفي سنة 136 . انظر ترجمته في «السير» (89/6).

[4] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (441/2) ، وابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (164/3).

[5] رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (306/2) ، وصححه محقق الكتاب الشيخ عبد الله الحاشدي في حاشيته عليه.

قال الذهبي رحمه الله: هذا القول محفوظ عن جماعة ، كربيعة الرأي ، ومالك الإمام ، وأبي جعفر الترمذي[1].[2]

وقال أيضا رحمه الله: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله ، وأخبروا أنه معلوم ، لا يحتاج لفظه إلى تفسير ، ونفوا الكيفية عنه ، وأخبروا أنها مجهولة.[3]

الأثر الثالث: روى الذهبي بإسناده عن أبي جعفر الترمذي ، شيخ الشافعية في زمانه ، أنه سأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزول **كيف** هو؟ يبقى فوقه علو؟ فقال:

النزول معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة.

قال الذهبي معلقا: صدق فقيه بغداد وعالمها في زمانه ، إذ السؤال عن النزول ما هوَ عَيٌّ[4] ، لأنه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة ، وإلا فالنزول والكلام والسمع والبصر والعلم والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع ، فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف ، وكيفية ذلك مجهولة عند البشر ، وكان هذا الترمذي من بحور العلم ، ومن العُبّاد الورعين ، مات سنة خمس وتسعين ومئتين.[5]

الأثر الرابع: قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاَّم ، المتوفى سنة 224هـ – وقد ذُكِرَ عنده ما يُروى في الرؤية ، والكرسي موضع القدمين وأشباه ذلك – فقال:

---

[1] هو الإمام العلامة ، شيخ الشافعية في وقته ، أبو جعفر ، محمد بن أحمد بن نصر الترمذي ، توفي سنة 295 ، انظر ترجمته في «السير» (545/13).

[2] «العلو» ، ص 81 .

[3] كتاب «العرش» ، ص 73 .

[4] العيُّ هو الجهل.

[5] «العلو» ، ص 213 – 214 .

هذه أحاديث صحاح ، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض ، وهي عندنا حقٌّ لا نَشكُّ فيها ، ولكن إذا قيل لنا: **كيف** وضع قدمه ، **وكيف** ضحك ؛ قلنا: لا نفسِّر هذا[1] ، ولا سمعنا أحداً يفسِّره.[2]

الأثر الخامس[3]: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يدُ الله ملأى ، لا تَغِيضُها[4] نفقة ، سَحَّاء[5] الليل والنهار ، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خَلق السماء والأرض؟ فإنه لم يَغِضْ[6] ما في يدِه ، وكان عرشُهُ على الماء ، وبيده الميزان ، يخفِض ويرفع.[7]
قال أبو عيسى الترمذي عقِبه: وهذا حديث قد روته الأئمة ، نؤمن به كما جاء ، من غير أن يُفسَّر أو يُتوهَّم ، هكذا قال غير واحد من الأئمة ؛ الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك ؛ إنه تُروى هذه الأشياء ويؤمَن بها ، فلا يُقال: **كيف**.

---

[1] أي لا نذكر له كيفية معينة.
[2] رواه الذهبي في كتاب «العلو» ، ص 173 .
[3] الشاهد ليس الحديث التالي وإنما الأثر بعده.
[4] تَغِيضُها أي تُنقِصُها. انظر «النهاية» لابن الأثير.
[5] أي دائمة العطاء. انظر «النهاية».
[6] أي يُنقِص. انظر «لسان العرب».
[7] رواه البخاري (4684) ومسلم (993) والترمذي (3045) ، واللفظ للبخاري.

الأثر السادس: روى ابن عبد البر رحمه الله عن ابن وضَّاح[1] قال: سألت يحيى بن معين[2] عن التنزُّل فقال: أَقِرَّ به ولا تَحُدَّ فيه بقولٍ ، كل من لقيتُ من أهل السنة يُصدِّق بحديث التنزل.

قال[3]: وقال لي ابن معين: صدِّق به ولا تَصِفه.[4]

ثم قال بعدها بورقتين: وقول رسول الله ﷺ : (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) عندهم[5] مثل قول الله عز وجل ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾[6] ، ومثل قوله ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾[7] ، كلهم يقول: ينزل ويتجلى ويجيء ، **بلا كيف** ، لا يقولون: **كيف** يجيء ، **وكيف** يتجلى ، **وكيف** ينزل ، ولا من أين جاء ، ولا من أين تجلى ، ولا من أين ينزل ، لأنه ليس كشيء من خلقه ، وتعالى عن الأشياء ، ولا شريك له.

وفي قول الله عز وجل ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليا للجبل.

وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل.

---

[1] هو الإمام الحافظ محدث الأندلس ، محمد بن وضاح المرواني ، من علماء الحديث النبوي ، له كتاب «البدع والنهي عنها» ، توفي سنة 287 ، انظر ترجمته في «السير» (445/13).

[2] هو الإمام الحافظ الجهبذ ، شيخ المحدثين ، أبو زكريا ، يحيى بن معين بن عون ، من رواة الحديث النبوي ، توفي سنة 233 ، انظر ترجمته في «السير» (71/11).

[3] أي ابن وضاح.

[4] ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» (137/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (151/7) من ط المغربية.

[5] أي عند السلف الصالح.

[6] سورة الأعراف: 143 .

[7] سورة الفجر: 22 .

ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء في قوله عز وجل ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ ؛ فلينظر في تفسير بَقِيَّ بن مخلد[1] ، ومحمد بن جرير ، وليقف على ما ذكرا من ذاك ، ففيما ذكرا منه كفاية ، وبالله العصمة والتوفيق.[2]

الأثر السابع[3]: روى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشُعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشَريك وأبو عَوانة لا يَحُدُّون ، ولا يُشَبِّهون ، ولا يُمَثِّلون ، يَروُون الحديث ، **لا يقولون (كيف)** ، وإذا سُئلوا أجابوا بالأثر.

قال أبو داود: وهو قولنا.

قلت: وعلى هذا مضى أكابرنا. انتهى.

الأثر الثامن: قال سفيان بن عيينة في أحاديث الصفات: هذه الأحاديث نرويها ونُقِرُّ بها كما جاءت **بلا كيف**.[4]

الأثر التاسع: قال وكيع: نُسَلِّمُ هذه الأحاديث كما جاءت ، **ولا نقول (كيف كذا؟)** ، ولا (لِم كذا؟) ، يعني مثل حديث: (يحمل السماوات على إصبع).

---

[1] هو الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، بقي بن مخلد بن يزيد ، الأندلسي ، القرطبي ، الحافظ ، صاحب «التفسير» و «المسند» اللذين لا نظير لهما ، أدخل هو ومحمد بن وضاح إلى الأندلس علما جما ، كان من كبار المجاهدين في سبيل الله ، مات سنة 273 ، انظر ترجمته في «السير» (285/13).

[2] ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» (139/6) ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (153/7) من ط المغربية.

[3] تقدم ذكر هذا الأثر والأثرين بعده آنفا ، وإنما أعدتها هنا لقصد جمع الكلام في هذا الباب في موضع واحد.

[4] تقدم تخريجه.

تنبيه

مما ينبغي أن يُعلم أن ترك السؤال عن كيفية صفات الله تعالى لا يعني أنه ليس لها كيفية ، بل لها كيفية يعلمها الله تعالى ، ولكن المنفي علم تلك الكيفية ، فاستواء الله على العرش له كيفية ، ونزول الله في الثلث الأخير من الليل له كيفية ، ومجيء الله يوم القيامة له كيفية ، ولكننا لا نعلم شيئا من تلك الكيفيات ، فلا ندري كيف استوى ولا كيف نزل ولا كيف يجيء ولا كيف وجهه ولا كيف يده ، لا نُكيف ذلك بعقولنا ولا بألسنتنا ، لأنها من الغيب وليست من الشهادة ، وتكييف ذلك سيؤدي إما إلى التمثيل أو إلى التعطيل.[1]

تنبيه آخر

الفرق بين التمثيل والتكييف هو أن التمثيل هو ذكر الصفة مقيَّدةً بمماثل ، كما تقول: يد فلان مثل يد فلان.

وأما التكييف فليس فيه ذكر مماثل ، بل تذكر الصفة مجردة عن ذكر مثيلتها ، كقول: يد فلان هذه كيفيتها.[2]

النوع الرابع من أنواع الإلحاد هو التحريف ، والتحريف هو التغيير ، والتحريف في صفات الله نوعان ؛ تحريف في اللفظ وتحريف في المعنى ، فأما التحريف في اللفظ فلا يكاد يقع إلا من جاهلٍ بالقراءة ، كأن يقرأ إنسان القرآن فإذا مر بصفة من صفات الله أخطأ في قراءتها ، وهذا لا يضره إن كان حريصا على تعلم القراءة ، ولم يكن عن عَمْدٍ.

---

[1] وانظر «مجموع الفتاوى» (181/5).

[2] ذكر هذا ابن عثيمين رحمه الله في «شرح العقيدة الواسطية» (112/1).

والتحريف اللفظي جرأة عظيمة على كتاب الله ، وقد وقع فيه اليهود والنصارى لما حرَّفوا التوراة والإنجيل ، ومن ذلك تحريف اليهود لقول الله ﴿حِطة﴾ إلى ﴿حنطة﴾ ، وذلك لما أمرهم الله بدخول القرية ودعاءه بأن يحُط عنهم ذنوبهم بأن يقولوا ﴿حِطة﴾ ، فقالوا مستهزئين بالأمر الشرعي ﴿حِنطة﴾.

وأما التحريف في المعنى – وهو الذي يعبر عنه كثيرا **بالتأويل** – فهو الذي وقع فيه كثير من الناس ، وهو صرف المعنى عن ظاهره لمعنىً غير المعنى الظاهر المتبادِر ، والذين فعلوا هذا زعموا أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه ، قالوا: إننا إذا أثبتنا لله صفة كصفة اليد – مثلا – فإننا نكون قد شبَّهنا يد الله بيد المخلوق ، هكذا قالوا ، ولا شك أن هذا خطأ ، لأن يد الله كما تليق به ، ويد المخلوق كما تليق به ، وإذا كانت أيدي المخلوقين تتفاوت في صفاتها عن بعضها البعض فكذلك يد الله ليست كأيدي المخلوقين من باب أولى ، وهكذا باقي صفاته جل وعلا.

وبعدما نفت المؤوِّلة عن الله ما نفته من الصفات ؛ أثبتوا لله معانٍ مجازية لتلك الصفات من عند أنفسهم وليست حقيقية ، كقولهم عن اليد مثلا: إن معناها القوة ، ليكون معنى قوله تعالى ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ عندهم أي: قوَّتاه مبسوطتان ، وهكذا أوَّلوا أكثر صفات الرب عز وجل.

وممن وقع في مسلك التأويل جمهور الأشاعرة ، الذين أثبتوا لله سبع صفات على ظاهرها ، وحرَّفوا معاني الصفات الباقية عن ظاهرها.

ومن تحريفهم: قولهم عن صفة الاستواء للرب عز وجل إن معناها الاستيلاء ، ليكون معنى قوله تعالى ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ عندهم أي: الرحمٰن على العرش استولى ، وهَلُمَّ جَـرًّا.

ولا شك أن هذا خطأ عظيم وتحريف لكلام الله تعالى ، فإن الله خاطب الناس بلسان عربي مبين ، ومعنى الاستواء في اللغة العربية هو العلو والارتفاع ، ولم يأت في شيء في كلام العرب الفصيح أو في

معاجم اللغة العربية إطلاقا أن معنى الاستواء هو الاستيلاء ، وسيأتي الكلام على ذلك بشيء من التفصيل.

فالحاصل أن أهل البدع ردُّوا جملة من صفات الرب عز وجل بتأويلها عن ظاهرها ، ومنشؤ ذلك أنهم أقحموا عقولهم لفهمها مع كونها غيبية ، فلم يفهموا من إثبات الصفات لله تعالى إلا أن ذلك يقتضي التشبيه ، فبناء على هذا قالوا: ليس أمامنا إلا تأويل تلك الصفات وصرف معانيها عن ظواهرها لئلا نُشبِّه الله بخلقه ، فأوَّلوا الصفات ، وصرفوا معانيها عن ظواهرها ، فضلوا في الفهم عن فهم السلف الصالح ، ولو أنهم عقِلوا لقالوا إن صفات الرب غيبية ، وأيقنوا أن الله خاطب الناس بما يفهمون ، فما علينا أن نفهم هذا الباب كما فهمته القرون المفضلة ، فنثبت لله صفاته كما تليق به كما نثبت للمخلوقين صفات تليق بهم ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات ؛ فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؟

ولكن الشيطان حاد بهم عن الطريق السَّوي ، ولعِبَ بعقولهم.

فصل في بيان ارتباط التحريف بالتعطيل

والتحريف – أو التأويل – مرتبط بالتعطيل ، فالتحريف في الدليل ، والتعطيل في المدلول ، فالتحريف سبب والتعطيل نتيجة وأثر ، فإذا حرَّفَ المُحرِّفُ في الدليل نتج عنه تفريغ الدليل مما دل عليه ، فإذا حرَّف مثلا قولَه تعالى ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ فقال معناها: الرحمٰن على العرش استولى ؛ نتج عن هذا تفريغ الآية مما دلت عليه وهو صفة الاستواء ، وهذا تعطيل بحد ذاته.

ثم إن التحريفَ من دَأْبِ اليهود ، فهم الذين يحرفون الكلِم عن مواضعه ، قال تعالى عنهم ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[1] ، فكلٌ من حرَّف نصوصَ الكتاب والسنة ففيه شبه من اليهود ، عياذا بالله تعالى.

فصل في بيان وجوه بطلان التأويل

اعلم رحمك الله أن تأويل الصفات باطل من وجوه عقلية كثيرة ، فمن ذلك ما نقله ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله في هذا الباب ، حيث قال:

إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النُّفاة ، الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام القرون الثلاثة المعظمة على سائر القرون ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم ؛ لزم من ذلك لوازم باطلة ، **منها:**

أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يُضِلُّهم ظاهره ويوقِعُهم في التشبيه والتمثيل.

ومنها أن يكون قد نزل بيان الحق والصواب لهم ولم يُفصَح به ، بل رَمز إليه رمزًا وألغزه إلغازًا ، لا يُفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد.

ومنها أن يكون قد كلَّف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها ، وكلَّفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه ، ولم يجعل معها قرينة تُفهِم ذلك.

[1] سورة النساء: 46 .

ومنها أن يكون دائما متكلما في هذا الباب بما ظاهِرُه خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب[1] ، ولا يَتكلم فيه بكلمة واحدة يوافق ما يقوله النفاة ، ولا يقول في مقام واحد ما هو الصواب فيه ، لا نصا ولا ظاهرا ، ولا يبينه.

ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان ، وذلك إما جهلٌ ينافي العلم ، وإما كتمانٌ ينافي البيان ، ولقد أساء الظن بخيار الأمة من نَسبَهم إلى ذلك ، ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق ؛ تولَّد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق ، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما يدل على التعطيل والنفي نصا وظاهرا ، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصا ولا ظاهرا ، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حرَّفوه أنواع التحريفات ، وطلبوا له مُستكْره التأويلات.

ومنها أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف ، وأنهم كانوا أُمِّيين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل ، ولم تكن الحقائق من شأنهم.

ومنها أنَّ ترْك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب ، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال ، ولم يستفيدوا منها يقينا ولا علما بما يجب لله ويمتنع عليه إذ ذاك ، وإنما يستفاد من عقول الرجال وآرائها. انتهى.[2]

---

[1] يقصد بذلك رحمه الله الآيات التي تقرر أن الله تعالى استوى على عرشه ، وأنه فوق عباده ، وأنه العلي الأعلى ، وأن الملائكة تَعرج إليه ، وأن الأعمال الصالحة تُرفع إليه ، وأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل تنزل من عنده ، وأنه رفيع الدرجات ، وأنه في السماء ، وأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، وأنه فوق سماواته على عرشه ، وأن الكتاب نزل من عنده ، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه يُرى بالأبصار عَيانًا ، يراه المؤمنون فوق رؤوسهم ، إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على علو الرب عز وجل.

[2] «الصواعق المرسلة» ، ص 314 – 316 ، باختصار يسير.

قلت: ومن وجوه بطلان التأويل في صفات الرب عز وجل **إجماع علماء المسلمين – من الصحابة والتابعين ومن بعدهم – على بطلانه** ، وقد حكى إجماعهم الإمامُ ابنُ عبد البر رحمه الله حيث قال:

أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، **وحملِها على الحقيقة لا على المجاز** ، إلا أنهم لا يُكيِّفون شيئا من ذلك ، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ، ولا يُحمل شيئا منها على الحقيقة[1]، ويزعُمون أن من أقر بها مُشَبِّه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله.[2]

علق الذهبي على كلام ابن عبد البر بقوله:

صدق والله ، فإن من تأول سائر الصفات ، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام ؛ أدَّاه ذلك السَّلب إلى تعطيل الرب ، وأن يُشابه المعدوم ، كما نُقل عن حماد بن زيد أنه قال: مَثل الجهمية كقوم قالوا: في دارنا نخلة.

قيل: لها سعف؟

قالوا: لا.

قيل: فلها كَـرَب[3]؟

قالوا: لا.

---

[1] أي عندهم.

[2] «التمهيد» (6/134-135) ،كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء ، وهو في (7/145) من ط المغربية.

[3] الكَرَب هو أصول سعف النخل.

قيل: لها رطب وقِـنْو[1]؟

قالوا: لا.

قيل: فلها ساق؟

قالوا: لا.

قيل: فما في داركم نخلة.[2]

وقال الذهبي رحمه الله: وقد أغنى الله تعالى عن العبارات المبتدعة ، فإن النصوص في الصفات واضحة ، ولو كانت الصفات تُرد إلى المجاز لبطل أن يكون صفات لله ، وإنما الصفة تابعة للموصوف ، فهو موجود حقيقة لا مجازا ، وصفاتُه ليست مجازا ، فإذا كان لا مِثْل له ولا نظير ؛ لزم أن تكون لا مِثْل لها.[3]

وقال ابن تيمية رحمه الله: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات **فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها** ، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رَوَوْه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك[4] وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله.[5]

---

[1] القِـنْو هو العِـذْق الذي يتدلى منه الرطب ، وهو في النخلة كالعنقود من العنب.

[2] «العلو» ، ص 250 .

[3] «العلو» ، ص 239- 240 .

[4] أي: ورد عنهم في تقرير ذلك ... ، بحذف الفعل وتقديره: ورد.

[5] «مجموع الفتاوى» (394/6).

قلت: ومن وجوه بطلان التأويل أيضا ما ذكره عبد الله بن تيمية[1] أخو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمهما الله ، ونقله عنه ابن القيم رحمه الله ، قال:

(ومن أبين المحال وأوضح الضلال حمل ذلك كله[2] على خلاف حقيقته وظاهره ودعوى المجاز فيه والاستعارة ، وأن الحق في أقوال النفاة المعطلين ، وأن تأويلاتهم هي المرادة من هذه النصوص ، إذ يلزم من ذلك أحد محاذير ثلاثة لا بد منها أو من بعضها ، وهي القدح في علم المتكلِّم بها ، أو في بيانه ، أو في نصحه.

وتقرير ذلك أن يقال: إما أن يكون المتكلم بهذه النصوص[3] عالما أن الحق في تأويلات النفاة المعطلين أو لا يعلم ذلك ، فإن لم يعلم ذلك والحق فيها كان ذلك قدحا في علمه.

وإن كان عالما أن الحق فيها فلا يخلو ؛ إما أن يكون قادرا على التعبير بعباراتهم – التي هي تنزيه لله بزعمهم عن التشبيه والتمثيل والتجسيم ، وأنه لا يَعرِف الله من لم ينزِّهه بها ، أو لا يكون قادرا على تلك العبارات ، فإن لم يكن قادرا على التعبير بذلك لزِم القدح في فصاحته ، وكان وَرَثة الصابئة وأفراخ الفلاسفة وأوقاح المعتزلة والجهمية وتلامذة الملاحدة أفصح منه وأحسن بيانا وتعبيرا عن الحق ، وهذا مما يَعلم بطلانه بالضرورة أولياؤه وأعداؤه ، موافقوه ومخالفوه ، فإن مخالفيه لم

---

[1] هو المفتي الزاهد القدوة شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي ، أخو الشيخ تقي الدين ، ولد في حادي عشر محرم ، سنة ست وستين وستمائة بحرَّان ، وقدم مع أهله إلى دمشق رضيعا ، سمع المسند والصحيحين وكتب السنن ، وتفقه في المذهب حتى أفتى ، وبرع أيضا في الفرائض والحساب وعلم الهيئة وفي الأصلين والعربية ، وله مشاركة قوية في الحديث ، ودرس بالحنبلية مدة ، وكان صاحب صدق وإخلاص ، قانعا باليسير ، شريف النفس ، شجاعا مقداما ، مجاهدا زاهدا عابدا ورعا ، كثير العبادة والتأله والمراقبة والخوف من الله تعالى ، توفي رحمه الله تعالى سنة 727 هـ بدمشق. باختصار من ترجمته في «شذرات الذهب» ، أحداث سنة 727 .

[2] أي الكم الهائل من النصوص الواردة في إثبات الصفات.

[3] وهو النبي ﷺ .

يشُكُّوا في أنه أفصح الخلق وأقدرهم على حسن التعبير بما يطابق المعنى ويخلِّصه من اللبس والإشكال.

وإن كان قادرا على ذلك ولم يتكلم به وتكلم دائما بخلافه وما يناقضه ؛ كان ذلك قدحا في نصحه ، **وقد وصف الله رسله بكمال النصح والبيان** ، فقال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[1].[2]

وأخبر عن رسله بأنهم أنصح الناس لأممهم ، فمع النصح والبيان والمعرفة التامة كيف يكون مذهب النفاة المعطلة أصحاب التحريف هو الصواب ، وقول أهل الإثبات – أتباع القرآن والسنة – باطلا؟!

فليتدبر الناصح لنفسه الموقن بأن الله لا بد سائله عما أجاب به رسوله في هذا المقام ، وليتحيز بعدُ إلى أين شاء ، فلم يكن الله ليجمع بين النفاة المعطلين المحرفين وبين أنصاره وأنصار رسوله وكتابه إلاَّ جَمْعَ امتحانٍ وابتلاء ، كما جَمَع بين الرسل وأعدائهم في هذه الدار).[3]

قلت: ومن وجوه بطلان التأويل أن تيسير القرآن للذِّكر ينافي حملَهُ على التأويل المخالف لحقيقته وظاهره ، قال ابن القيم رحمه الله:

(أنزل الله سبحانه الكتاب شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني ، وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها ، كما وَصَفَ سبحانه به كتابه في قوله ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾[4].

---

[1] سورة إبراهيم: 4 .

[2] ومن المعلوم أن القدح في نصيحة النبي ﷺ لأمته باطل قطعا كما سيأتي بيانه.

[3] باختصار من «الصواعق المرسلة» (324-326).

[4] سورة الفرقان: 33 .

فالحق هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب ، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق ، فهي تفسيره وبيانه ، وكلما كان فهم المعنى منه أوضح وأبين كان التفسير أكمل وأحسن ، ولهذا لا تجد كلاما أحسن تفسيرا ولا أتم بيانا من كلام الله سبحانه ، ولهذا سماه سبحانه بيانا ، وأخبر أنه يَسَّرهُ للذِّكر ، وتيسيره للذكر يتضمن أنواعا من التيسير ؛ **إحداها** تيسير ألفاظه للحفظ ، **الثاني** تيسير معانيه للفهم ، **الثالث** تيسير أوامره ونواهيه للامتثال.

ومعلومٌ أنه لو كان بألفاظٍ لا يفهمها المخاطَب لم يكن مُيسَّرا له ، بل كان مُعسَّرا عليه ، فهكذا إذا أريد من المُخاطِب أن يُفهم من ألفاظه ما لا يدل عليه من المعاني أو يدل على خلافه ؛ فهذا من أشد التعسير ، وهو مناف للتيسير ، فإنه لا شيء أعسر على الأمة من أن يُجهِدوا أنفسهم ويكابِدوا أعظم المشقة في طلب أنواع الاستعارات وضروب المجازات ووحشِيِّ اللغات ليحملوا عليه آيات الصفات وأخبارها ، فيصرفوا قلوبهم وأفهامهم عما تدل عليه ، ويفهموا منها ما لا تدلُّ عليه بل تدلُّ على خلافِه ، ويقول: اعلموا يا عبادي أني أردت منكم أن تعلموا أني لست فوق العالم ولا تحته ، ولا فوق عرشي ، ولا تُرفع الأيدي إليَّ ، ولا يَعرُج إليَّ شيءٌ ، ولا يَنزِل من عندي شيءٌ ، من قولي[1] ﴿ الرحمٰن على العرش استوى﴾ ، ومن قولي ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[2] ، ومن قولي ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾[3] ، ومن قولي ﴿بل رفعه الله إليه﴾[4] ، ومن قولي ﴿رفيع الدرجات ذو

[1] أي اعلموا ما تقدم ذِكره من قولي ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ وما سرد بعدها من الآيات.

[2] سورة النحل: 50 .

[3] سورة المعارج: 4 .

[4] سورة النساء: 158 .

العرش﴾[1] ، فإنكم إذا فهمتم من هذه الألفاظ حقائقها وظواهرها فهمتم خلاف مرادي منها ، بل مرادي منكم أن تفهموا منها ما يدل على خلاف حقائقها وظواهرها!

فأيُّ تيسير يكون هناك وأي تعقيد وتعسير لم يحصل بذلك ، ومعلوم أن خطاب الرجل بما لا يفهمه إلا بترجمة أيسر عليه من خطابه بما كُلِّف أن يُفهم منه خلاف موضوعه وحقيقته بكثير ، فإن تيسير القرآن مناف لطريقة النفاة المحرفين أعظم منافاة).[2]

فهل بعد هذا يكون مذهب المؤولة هو الصواب ، ومذهب المثبتة هو الباطل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

كلام جامع لابن القيم رحمه الله في ذم التأويل

وبناء على ما تقدم ؛ فالأسباب الجالبة للتأويل أربعة: إما نقصان بيان المتكلم ، أو سوء قصده ، وإما سوء فهم المستمع ، أو سوء قصده ، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة انتفى التأويل ، وإذا وُجِدت أو وُجِد بعضها وقع التأويل ، قاله ابن القيم رحمه الله في الفصل الحادي والعشرين من كتابه النفيس «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة».[3]

وقد تكلم رحمه الله في الكتاب نفسه على مسألة التأويل بما لا مزيد عليه ، فبين معناه لغة واصطلاحا ، ووجوه بطلانه ، وأنه لا ينضبط بضابط ولا يُحدُّ بِحدٍّ ، ثم بَيَّنَ جناية التأويل على أديان الرسل ، وأنه كان سببا لخراب العالم ، وفساد الدنيا والدين ، وأنه إن سُلِّط على العلوم أفسدها جميعا ، ورَفَعَ الثقة عن المتكلم ، ثم بين أسبابه ، وأنواع الاختلافات الناشئة عنه ، ثم عمد

---

[1] سورة غافر: 15 .

[2] «الصواعق المرسلة» (330-335) ، باختصار.

[3] (500/2).

إلى الشبهات الأربعة التي يعتمد عليها أصحاب التأويل ففنَّدها جميعا ، وقد سماها رحمه الله الطواغيت الأربعة ، فردَّ رحمه الله الطاغوت الأول – وهو قولهم: إن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد علما ولا يقينا – من ثلاثة وسبعين وجها ، ثم رد الطاغوت الثاني – وهو قولهم: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل – من مئتين وواحد وأربعين وجها.

وقد ذكر رحمه الله أنه استفاد في رد هذه الشبهة من كتاب شيخه ابن تيمية رحمه الله «درء تعارض العقل والنقل»[1].

ثم ردَّ الطاغوت الثالث – وهو قولهم: إن آيات الصفات مجازات لا حقيقة لها – من خمسين وجها ، استغرقت مئتين وأربع وثلاثين صفحة من «مختصر الصواعق»[2].

ثم ردَّ الطاغوت الرابع وهو قولهم: إن أخبار الرسول الصحيحة لا تفيد العلم ، وغايتها أن تفيد الظن ، ففنَّدَ هذه الشبهة من عشرة وجوه ، استغرقت إحدى وثمانين صفحة ، وهو نهاية «المختصر».

استطراد

ولغير ابن القيم رحمه الله من علماء أهل السنة كلام في بيان بطلان تأويل صفات الرب عز وجل ،

---

[1] وهو مطبوع في أحد عشر مجلدا مع الفهارس ، بتحقيق د. محمد رشاد سالم رحمه الله ، وهو من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

[2] ينبغي التنبه إلى أن الجزء الأخير من كتاب «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» مفقود ، وهو المحتوي على جواب ابن القيم عن الطاغوت الثالث والرابع ، وقد اختصره قبل فقدانه الشيخ محمد الموصلي ، وضمَّنه ذِكر ابن القيم لهذين الطاغوتين والجواب عنهما ، فليراجعه من أراد الاطلاع على جوابه ، والمختصر من منشورات دار الحديث بالقاهرة.

فمن ذلك الفصل الذي عقده الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في كتابه «توضيح الكافية الشافية» بعنوان «فصل في جناية التأويل ، والفرق بن المقبول منه والمردود» قال فيه:

"لا يرتاب عارف أن جميع المصائب التي جرت في صدر الإسلام وبعد ذلك ، ووقوع الفتن والاقتتال والتحزبات ؛ **كلها متفرعة عن التأويل الباطل الذي لا يُنتِج إلا شرا** ، فالتأويل الباطل سبب فتن الأقوال والبدع الاعتقادية والفتن الفعلية ، فلم يزل التأويل يتوسع.

وكل بدعة متأخرة تحدث من التأويلات الباطلة غير ما أحدثته التي قبلها ، حتى وصلت النّوبة إلى ابن سينا واتباعِه ، فتأولوا جميع الشرائع العلمية والعملية ، وأبطل القرامطة جميع الشَّرع ، وفسروا شرائعه الكبار بتفاسير يعلم الصبيان بطلانها ، فهذه البدع أصلها الذي تأسست عليه ؛ التأويل الباطل المردود.

وأما التأويل الذي يراد به تفسير مراد الله ومراد رسوله والطرق الموصلة إلى ذلك ؛ فهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهي التي أمر الله ورسوله بها ، ومدح أهلها.

وكذلك التأويل الذي هو بمعنى ما يؤول إليه الأمر ، مِن العمل بأمر الله ، ومن فِهم ما يؤول إليه الخبر ، فلفظ التأويل في الكتاب والسنة الغالب عليه هٰذان الأمران ؛ إما نفس وقوع ما أخبر الله به ورسوله ، وإما العمل بما أمر الله به ورسوله ، فالأول راجع إلى التصديق ، والثاني راجع إلى الطاعة والإيمان بالله ورسوله.

وطاعة الله ورسوله هو الخير كله ، وسبب السعادة والفلاح.

فتبين أن التأويل الصحيح كله يعود إلى فهم مراد الله ورسوله ، وإلى العمل بالخبر ، وأن التأويل الباطل يراد به ضد ذلك ، ويراد به صرف النصوص عن معناها الذي أراده الله ورسوله إلى بدعهم وضلالهم ، وهو من أعظم ما يدخل في القول على الله بلا علم وقول غير الحق.

وكل من ادَّعى تأويلا يخالف اللفظ لم تَصِحَّ دعواه إلا بأربعة أمور ، لو اختل واحد منها فتأويله باطل:

أحدها: أن يأتي بدليل يدل على قوله ، لأنه خلاف الأصل ، فإن الأصل حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته ، فمن ادَّعى خلاف ذلك فعليه البرهان.

فإذا أتى بدليل طولب **بأمر ثان** وهو أنَّ ذلك الذي تأوَّلَهُ إلى ذلك المعنى يحتمله ، لأنه لا بد أن يكون بين الألفاظ والمعاني ارتباط وتناسب ، لأنه باللسان العربي ، أنزله الله ليعْقِلَهُ العباد إذا تدبروا ألفاظه ، فهل يمكن أن يعقلوا أو يفهموا ما ليس له ارتباط ودلالة على المعاني من ذات اللفظ ونفس العبارة بحيث لا يحتاجون إلى أمور خارجية؟

فإذا أتى بما يدل ويحتمل ذلك المعنى الذي عَيَّنه – وهيهات له ذلك – طولب **بأمر ثالث** وهو تعيينه المعنى الذي تأول اللفظ له ، فَهَبْ أن ظاهره غير مراد ، فلا بد من دليل يُعيِّن المعنى الذي صرفه إليه ويُخصِّصه به ، فإن التخصيص من دون دليل من باب التكهن والتخرص ، لأن اللفظ لا يدل عليه بخصوصه ، فقد يكون القصد به معنى غير الذي عَيَّنوه.

فإن فُرِضَ أنه تأوُّلٌ على غيرِ ظاهره ، وأَتَى بدليلٍ على الاحتمال وعلى التعيين ؛ طولب **بأمر رابع** وهو الجواب عن المعارض ، لأن الدعوى لا تتم إلا بذلك ، والمعارض للنفي هو جميع الأدلة النقلية من الكتاب والسنة والأدلة العقلية والفطرة ، كما تقدمت الإشارة إليها ، ومن المستحيل أن يعارَض وحيه وتنزيله وقول رسوله وأصحابه والتابعين بإحسان بأقوال النفاة الذين بنوا أمرهم على المحال ، فتبين أن المعطلين النافين لا سبيل لهم إلى إثبات قولهم أبدا بوجه من الوجوه وهو المطلوب". انتهى كلامه رحمه الله باختصار يسير.

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي أيضا:

والحال أن المشابهة الحقيقية لليهود منطبقة على الجهمية ، فإن اليهود قد جمعوا بين تبديل النصوص وكتمانها ، وبين تحريف ما لا يُمكن فيه أحد الأمرين ، فهؤلاء الجهمية لما تعذر عليهم التبديل والكتمان – لأن الله نزَّل الذكر وحفظه فيستحيل تبديله وكتمانه – عمدوا إلى تحريف معاني النصوص وتبديلها ، فنفوا المعنى الذي أراده الله ورسوله ، وأثبتوا لها معاني من تلقاء أنفسهم ، **فهذا هو الشَّبَهُ الحقيقي باليهود.**[1]

قلت: وللقاضي أبي يعلى ، محمد بن الحسين بن الفراء[2] كتاب «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» ، رد فيه على نفاة الصفات ، المؤولين لها ، المحرفين لمعانيها ، وهو من أقوى الكتب في بابه ، تناول فيها أحاديث الصفات التي تأولها المؤولة ، وناقش الشبهات التي أثاروها.[3]

---

[1] «توضيح الكافية الشافية» ، ص 341 – 342 ، من «المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله».

قلت: وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذه الشروط الأربعة في كتابه «الصواعق المرسلة» ، الفصل التاسع ، ص 288 – 295 ، كما ذكرها في «نونيته» في «فصل فيما يلزم مدَّعي التأويل لتَصِحَّ دعواه».

[2] هو الإمام العلامة شيخ الحنابلة ، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين البغدادي ، صاحب التصانيف المفيدة ، له رواية للحديث النبوي ، كان عالم العراق في زمانه ، توفي سنة 458 . انظر ترجمته في «السير» (89/18).

[3] وقد حققه الشيخ محمد بن حمد الحمود ، جزاه الله خيرا ، وهو من منشورات مكتبة دار الإمام الذهبي – الكويت.

فصل في توبة بعض مشاهير مؤولة الصفات ، ورجوعهم إلى طريقة أهل السنة في فهم صفات الرب عز وجل

قال العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله:

واعلم أن أئمة القائلين بالتأويل رجعوا قبل موتهم عنه ، لأنه مذهب غير مأمون العاقبة ، لأن مبناه على:

- ادِّعاءِ أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لا تليق بالله ، لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق.
- ثم نَفْيِ تلك الصفات الواردة في الآيات والأحاديث لأجل تلك الدعاوى الكاذبة المشؤومة.
- ثم تأويلِها بأشياء أُخَرَ دون مستند من كتاب أو سنة أو قول صحابي أو أحد من السلف.

وكل مذهب هذه حاله فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف. انتهى كلامه رحمه الله.[1]

ثم ذكر كلاما جيدا في بيان أن أئمة المتكلمين المشهورين رجعوا كلهم عن تأويل الصفات ، بدءا من القاضي محمد بن الطيب ، المعروف بأبي بكر الباقلاني[2] ، ثم أبي الحسن

[1] انظر «أضواء البيان» (499/7 - 500) ، تفسير سورة محمد ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[2] هو العلامة الأصولي محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي ، ابن الباقلاني ، مات سنة 403 ، قال الذهبي في «العلو»: (ليس في المتكلمين الأشعرية أفضل منه مطلقا) ، وانظر تقريره لإجماع المسلمين على علو الله على خلقه في كتابه «الإبانة» ، وقد أورد الذهبي كلامه في «العلو» ص 238 ، وترجم له في «السير» (190/17) ، و «تاريخ الإسلام» (63/9).

الأشعري[1] ، ثم أبي حامد الغزالي[2] ، ثم الفخر الرازي[3] ، في نحو سبعِ عشرة ورقة ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

ذكر كلام بعض من أوَّل الصفات ثم تراجع عنه

قال أبو محمد ، عبد الله بن يوسف الجويني[4] رحمه الله في كتابه «رسالة في إثبات الاستواء والفوقية»:

"وكنت متحيرا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها وإمرارها والوقوف فيها ، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ناطقةً مُنبئةً بحقائق هذه الصفات ، وكذلك في إثبات

---

[1] هو العلامة إمام المتكلمين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري اليماني البصري ، تعلم الاعتزال ثم تاب منه وتبرأ منه على المنبر ، قال الذهبي في ترجمته في «السير» (86/15): رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول ، يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات ، وقال فيها: (تُمَرُّ كما جاءت) ، ثم قال: (وبذلك أقول ، وبه أدين ، ولا تُؤوِّل). اهـ.

قلت: وقد قرر الأشعري إجماع أهل السنة على علو الله على خلقه في كتابه «رسالة إلى أهل الثغر» ، ص 232 .

توفي رحمه الله سنة 330 .

[2] هو الشيخ أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، الشافعي الغزالي ، لازم إمامَ الحرمين ، أبا المعالي الجويني ، خاض في الفلسفة فنشَب فيها ، وما استطاع الخروج منها ، بل تأثر بها كثيرا ، وصنف كتاب «إحياء علوم الدين» وملأه بالأحاديث الباطلة والأقوال الفلسفية الساقطة ، وقد رد عليه جمع من العلماء ونقل كلامهم الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (322/19) في ثنايا ترجمته.

توفي أبو حامد سنة 505 وله 55 سنة ، ولو أنه انكب على كتب الحديث والأثر لكان شيخ الإسلام بحق.

[3] هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني ، الأصولي المفسر الكبير ، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة ، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة ، والله يتولى السرائر ، مات سنة 606 هـ. انظر «سير أعلام النبلاء» (500/21).

[4] هو شيخ الشافعية ، وصاحب وجه في المذهب ، له عدة تواليف ، وهو والد إمام الحرمين ، أبو المعالي الجويني ، انظر ترجمته في «السير» (617/17).

العلو والفوقية ، وكذلك في الحرف والصوت ، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤوِّل الاستواء بالقهر والاستيلاء ، ويؤوِّل النزول بنـزول الأمر ، ويؤوِّل اليديـن بالقدرتين أو النعمتين ، ويؤوِّل القدم بقدم صدق عند ربهم ، وأمثال ذلك.

ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بلا حرف ولا صوت ، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

وممن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري منزلة ، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين ، لأني على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، ومنه[1] عرفت فرائض ديني وأحكامه ، فأجِد مثل هؤلاء الشيوخ الأجِلَّة[2] يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخي ، ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم.

ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات **حزازات لا يطمئن قلبي إليها ، وأجد الكدَرَ والظُّلمةَ منها ، وأجد ضيقَ الصدرِ وعدم انشراحِهِ مقرونا بها ، فكنت كالمتحيِّر المضطرب في تحيُّره ، المتململِ من قلبه في تقلبه وتغيره** ، وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه.

ومع ذلك ؛ فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني ، وأجد الرسول ﷺ قد صرّحَ بها مُخبِرًا عن ربه ، واصفا له بها ، وأعلمُ بالاضطرار أنه ﷺ كان يحضُرُ في مجلسه الشريف والعالم والجاهل ، والذكي والبليد ، والأعرابي والجافي ، ثم لا أجدُ شيئا يَعقُب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها ، لا نصا ولا ظاهرا مما

[1] كلمة (ومنه) ليست في المطبوع ، وأظنه سقط لأن الكلام لا يستقيم إلا بإثباتها.

[2] الأجِلَّة جمع جليل.

يصرفها عن حقائقها ، ويؤوِّلها كما تأوَّلَها هؤلاء ، مشايخي الفقهاء المتكلمين ، مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء[1] ، ونزول الأمر للنزول ، وغير ذلك.

ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها ، مثل فوقية المرتبة ، ويد النعمة ، والقدرة ، وغير ذلك".[2]

ثم قال بعد كلام له في تقرير العلو وفوقية الله عز وجل:

"إذا علمنا ذلك واعتقدناه ؛ تخلَّصنا من شبه التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علوَّ ربنا سبحانه وفوقيته واستواءَه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك ، والصدور تنشرح له ، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهلٌ وعَيٌّ ، مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقوفنا على إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها ، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ، ولا نقف في ذلك.

وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة ، فمن وفَّقَه الله تعالى للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى.

---

[1] هكذا في المطبوع ، ولعل الصواب: (الاستيلاء للاستواء) ، أي تأويل الاستواء بالاستيلاء ، وبه يتَّسق السياق.

[2] ص 30 – 33 .

فصل

والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أوَّلوا الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول الأمر ، واليدين بالنعمتين والقدرتين ؛ هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين ، فما فهموا عن الله استواء يليق به ، ولا نزولا يليق به ، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه ، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه ، وعطلوا ما وصف الله نفسه به".

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

وهكذا فخر الدين الرازي ، فقد تراجع عن مذهبه في تحريف معاني صفات الله ، العلو وغيره من الصفات ، وقال كلاما يكتب بماء الذهب والله في رجوعه إلى طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات معاني صفات الله وإمرارها كما جاءت بلا تأويل ، وذكر منها آيات العلو ، قال رحمه الله:

نِهايةُ إقدامِ العـــــقولِ عـِقالُ وأكثرُ سعيِ العالمينَ ضلالُ

وأرواحُنا في وَحشةٍ من جُسومِنا وحاصِلُ دنيانا أذًى ووبالُ

ولم نستفِد من بحثنا طولَ عمرنا سِوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالوا

واعلم أنه بعد التوغل في هذه المضايق ، والتعميق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق ؛ رأيت الأصوب الأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم ، وهو ترك التعمق ، والاستدلال بأقسام أجسام السماوات والأرضين على وجود رب العالمين ، ثم المبالغة في التعظيم ، من غير خوض في التفاصيل ، فاقرأ في التنزيه قوله تعالى ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ ، وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، وقوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ ، واقرأ في الإثبات قوله ﴿الرحمٰن على

[1] ص 72 – 73 .

العرش استوى﴾ ، وقوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ ، وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[1] .... وعلى هذا القانون فقِسْ.[2]

فصل في بيان فضل الرد على المؤولة

ولما كان ضرر التأويل الفاسد عظيما وجنايته كبيرة في الدين ؛ رد علماء الإسلام على القائلين به ، وحثَّ بعضهم بعضا على بيان زيغ كلامهم ، فمن ذلك ما قاله ابن القيم رحمه الله في حق المؤولة: "فكشفُ عوراتِ هؤلاءِ وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله ، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: إن روح القُدُس[3] لا يزال يؤيدك ما نافَحت عن الله ورسوله.[4]
وقال عن هجائه لهم: اهجوا قريشا ، فإنه أشد عليها من رَشْقٍ النبل.[5]

وكيف لا يكون بيان ذلك من الجهاد في سبيل الله ، وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام الذين لهم في الأمة لسان صدق ؛ يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه ، وأهل النفاق والإلحاد[6] ، لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك ومحال ، وكفر وضلال ، وتشبيه وتمثيل أو تخييل ، ثم صرفها إلى معان يعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحَاجِي والألغاز ، لا يصدُر مِمَّن قَصدُه نُصحٌ وبيانٌ ، فالمدافعة عن كلام الله ورسوله والذب عنه

---

[1]. سورة فاطر: 10 .

[2] انتهى كلامه ، نقلا من «اجتماع الجيوش» ص 305 – 306 .

[3] أي جبريل.

[4] رواه مسلم (2489) عن عائشة رضي الله عنها.

[5] رواه مسلم (2490) عن عائشة رضي الله عنها.

[6] أي: وطَعْن أهل النفاق والإلحاد ، حَذَفَ الفعل (وطعن) لتقدمه ، وعطَف الجملة على الجملة التي قبلها.

من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد ، ومن رزقه الله بصيرة نافذة عِلم سخافة عقول هؤلاء المحرفين ، وأنهم من أهل الضلال المبين ، وأنهم إخوان الذين ذمَّهم الله بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، الذين لا يفقهون ولا يتدبرون القول ، وشبَّههم بالحُمُرِ المستنفِرة[1] تارة ، وبالحمار الذي يحمل أسفارا تارة ، ومَن قَبِلَ التأويلات المفتراة على الله ورسوله التي هي تحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه فهو من جنس الذين قبلوا قرآن مسيلمة المختلق المفترى".[2]

النوع الخامس من أنواع الإلحاد هو التفويض ، وهو ادعاء أن أسماء الله وصفاته ليس لها معانٍ يعلمها الناس ، فالغفور – بزعمهم – ليس له معنى ، والرحيم ليس له معنى ، وهلُمَّ جَـرًّا ، وهذا القول هو من شر قول أهل البدع والإلحاد ، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل»[3] ، وبيان ذلك من وجهين[4]:

الأول: أن القول بالتفويض يلزم منه الطعن في بيان القرآن والتكذيب له ، لأن الله يقول ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾[5] ، وكيف يكون البيان إذا كانت أسماء الله وصفاته – التي هي أكثر ما يتكرر ذكره في القرآن لا سيما في خواتم الآيات – لا يُدرى معناها؟ أين البيان إذًا؟

والثاني أن قولهم بالتفويض يقتضي تجهيل الرسول ﷺ ، لأن لازِم كلامهم أن النبي ﷺ لا يدري معانيَ القرآن فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، أي أن النبي ﷺ كان يقرأ ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ،

---

[1] وقع التشبيه في قوله تعالى ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ ، ويعني بالحُمُر المُستنفرة حُمُر الوحش إذا رأت صائد لها فخافت وفرَّت ، فهكذا هم يفرون من الحق كفرار الحُمُر.

[2] «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (1/301-303) باختصار.

[3] (1/205).

[4] انظر «شرح الواسطية» (1/93 – 94).

[5] سورة النحل: 89 .

ولا يدري ما معنى قوله ، وكذلك يقول الرسول ﷺ : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) ، ولا يدري ما معنى كلامه ، وهذا باطل قطعا.

قال الشيخ صديق حسن خان القِنَّوجي[1] رحمه الله في كتابه «قَطفُ الثمر في عقيدة أهل الأثر»:

"ومن ظن أن نصوص الصفات لا يُعقل معناها ، ولا يُدرى ما أراد الله تعالى ورسوله منها ، وظاهرها تشبيه وتمثيل ، واعتقاد ظاهرها كفر وضلال ، وإنما هي ألفاظ لا معاني لها ، وأن لها تأويلاً وتوجيهاً لا يعلمه إلا الله ، وأنها بمنزلة ﴿ألم﴾ ، و ﴿كهيعص﴾ ، وظن أن هذه طريقة السلف ، ولم يكونوا يعرفون حقيقة قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ ، وقوله ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[2] ، وقوله ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ ونحو ذلك ؛ فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف وأضلهم عن الهدى ، وقد تضمن هذا الظن استجهال السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة ، وكبار الذين كانوا أعلم الأمة علماً وأفقههم فهماً وأحسنهم عملاً وأتبعهم سَنناً ، ولازم هذا الظن أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه ، وهو خطأ عظيم وجسارة قبيحة ، نعوذ بالله منها".[3]

والخلاصة أن معاني أسماء الله وصفاته معلومة ، وليست كما قالت المفوضة ، أما كيفية صفاته فهي المجهولة ، لأنها من الغيب ، فكيفية مجيء الرب يوم القيامة – مثلا – مجهولةٌ ، لأن العقلَ البشريَّ

---

[1] هو الإمام العلامة المحقق محيي السنة وقامع البدعة ، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي لطف الله القِنَّوجي ، نزيل «بهوبال» بالهند وأميرها ، له عدة مؤلفات ، منها في العقيدة «الدين الخالص» و«قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ، وله في الفقه «الروضة الندية شرح الدرر البهية» ، وله غيرها في التفسير والحديث ، توفي رحمه الله سنة 1307 .

باختصار وزيادة من مقدمة د. عاصم بن عبد الله القريوتي لتحقيق كتاب الشيخ صديق «قطف الثمر» ، الناشر: عالم الكتب – لبنان.

[2] سورة ص: 75 .

[3] ص 53 – 54 .

لم يُحِط به ، وليس بمقدوره إدراكه بالحس ، أما معنى المجيء في لغة العرب فمعلوم ، وهكذا تُفهم باقي الصفات ، والله أعلم.

النوع السادس من أنواع الإلحاد: تسمية الله بما لم يُسَمِّ به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، **أو وصفه بما لم يصف به نفسه** أو وصفه به رسوله ﷺ ، كما سماه الفلاسفة بـ «العلة الفاعلة» ، وسماه النصارى «أب» ، وهذا باطل لكون أسماء الله توقيفية ، أي متوقف العلم بها على الكتاب والسنة ، فلا يجوز أن يُسمى الله باسم أو بصفة إلا اعتمادا على نصٍّ من كتاب أو سنة ، وإلا كان إلحادا وميلا عن المنهج الصحيح في فهم أسماء الله تعالى وصفاته ، ومن القول على الله تعالى بغير علم.[1]

النوع السابع من أنواع الإلحاد: إنكار أن يكون لله أسماء ، كما وقع من غلاة الجهمية ، الذين قالوا إنه ليس لله اسم أبدا ، تعالى الله عن ذلك ، وحُجَّتهم في ذلك أنهم لو أثبتوا لله اسما لأشبه المخلوقات – بزعمهم – من جهة أن للمخلوقات أسماء أيضا ، وبطلان هذا واضح لا يحتاج إلى كبير رد ، فإن كثيرا من آيات القرآن تختم بذكر أسماء الله تعالى وصفاته ، فإنكار الجهمية لأسماء الله تعالى يلزم منه أن ذِكر تلك الأسماء والصفات كان عبثا ، والعبث ينزه عنه الله تعالى ، وصدق الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾.[2]

النوع الثامن من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته: اشتقاق أسماء منها للمعبودات الباطلة ، كما فعل الجاهليون لما اشتقوا بعض أسماء أصنامهم من أسماء الله تعالى ، فاشتقوا «اللات» من الإله ، و «العزى» من العزيز ، و «مناة» من المنان ، وهذا تعدٍّ على حق الله تعالى

[1] انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين رحمه الله (120/1).

[2] انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين رحمه الله (120/1 – 121).

الواجب له في تعظيم أسمائه وصفاته ، والواجب هو أن تُعظَّم أسماء الله تعالى ، فلا يُشتق لغيره منها.[1]

فهذه ثمانية أنواع من أنواع الانحراف في فهم أسماء الله وصفاته ، ينبغي للمسلم أن يحذرها غاية الحذر ، إذِ القول ببعضها يدخل في ارتكاب البدع ، والقول ببعضها الآخر يؤدي إلى الكفر عياذا بالله ، والواجب تنزيه الله عن جميع صفات النقص ، وهو معنى التسبيح ، لأن معنى التسبيح هو التنزيه والتقديس للرب تبارك وتعالى.

تنبيهات وفوائد

تنبيه

الكفر يطرأُ في باب الأسماء والصفات من باب الشك ، فمن شك في صفة من صفات الله أو اسم ثابت له من أسمائه كَفَر ، كمن شك في قدرة الله ، أو شك في رحمته ، أو شك هل الرحمٰن من أسماء الله أو لا ، ووجهُ كفرِهِ أن أسماء الله وصفاته ثابتة له بالقرآن والسنة ، فمَن ردَّ شيئا منها فإنما هو يرد خبر الله ، وهذا كفر ، والواجب هو الإيمان واليقين بأسماء الله وصفاته ، وكذا كل ما دل عليه القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

تنبيه آخر

تنزيه الله تعالى عن صفات النقص هو المُعبَّر عنه بالتسبيح ، فالتسبيح هو التنزيه[2] ، والتسبيح من أفضل أعمال القلب واللسان ، ولذا جاء أمر الله تعالى به بكرة وأصيلا ، أي في الصباح والمساء ،

[1] انظر «شرح الواسطية» لابن عثيمين رحمه الله (1/ 123).

[2] انظر «لسان العرب» لابن منظور.

وقد كان النبي ﷺ يكثر من تسبيح الله تعالى في عموم أحواله ، فقد كان يسبح الله إذا أصبح وإذا أمسى ، وإذا فرغ من الصلاة ، وإذا نزل واديا ، وإذا تعجب من شيء ، وعند المنام ، وغير ذلك من الأحوال.

فائدة

والتسبيح أجره عظيم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: من قال: (سبحان الله وبحمده) في يوم مائة مرة ؛ حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.[1]

وعنه قال: من قال حين يُصبِح وحين يُمسي (سبحان الله وبحمده مائة مرة) ؛ لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه.[2]

وعنه عن النبي ﷺ قال: كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمٰن ؛ سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده.[3]

أقول: فكم حُرِم الواقعون في تأويل صفات الله عز وجل من ثواب وأجر التسبيح بسبب تأويلهم لصفات الرب عز وجل التي وصف نفسه بها؟

تنبيه

والواقعون في التأويل لم يخسروا ثواب التسبيح فحسب ، بل قد باؤوا بإثم عظيم بسبب عدم إيمانهم بمعاني تلك الصفات على مراد الله ومراد رسوله ﷺ ، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: لأن يلقى

---

[1] رواه البخاري (6405) ، ومسلم (2691).

[2] رواه مسلم (2692).

[3] رواه البخاري (6406) ، ومسلم (2694).

الله عز وجل المرء بكل ذنب ما خلا الشرك بالله تبارك وتعالى خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء.[1]

فائدة

ومما يدل على عِظمِ شأن توحيد الأسماء والصفات أيضا أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي ، والتي تتضمن كل جملة منها اسما أو صفة من أسماء الله وصفاته ، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر ، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا أبا المنذر ، أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟

قال: قلت: ﴿الله لا إلـه إلا هو الحي القيوم﴾[2] ، قال: فضرب في صدري وقال: واللهِ ، لِـيَهْنِكَ العلم أبا المنذر.[3]

أي: هنيئا لك العلم.

قال النووي[4] رحمه الله في شرح الحديث: قال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلـٰهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة ، وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات ، والله أعلم. انتهى.

---

[1] رواه البيهقي في «آداب الشافعي ومناقبه» ، ص 143 ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[2] سورة البقرة: 255 .

[3] رواه مسلم (810).

[4] هو الإمام العالم ، مفتي الأمة في زمنه ، الفقيه الشافعي الزاهد ، أبو زكريا ، محيي الدين ، يحيى بن شرف النووي ، نفع الله الأمة بتصانيفه نفعا عظيما ، كشرح صحيح مسلم ، و «رياض الصالحين» و «المجموع» وهو شرح «المهذب» ، وغيرها ،

ومما يدل على عِظَم شأن توحيد الأسماء والصفات أيضا أن سورة الإخلاص – التي تتضمن صفة الرحمٰن — تعدل ثلث القرآن في ثواب القراءة ، يدل لهذا حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: أيعجِز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟

قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟

قال: ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن.[1]

فائدة من فوائد العلم بمعاني أسماء الله وصفاته ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى

قال رحمه الله:

والأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضِيةٌ لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءَها لآثارِها من الخلق والتكوين ، فلِكلِّ صفة عبودية خاصة هي من موجِبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ، وهذا مُطَّرِدٌ في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح ، فعِلْمُ العبد بتفرد الرب تعالى بالضُّر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة ؛ يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا.

وعِلمه[2] بسمعِه – تعالى – وبصرِه وعلمِه ، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ يثمر له حِفظَ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يُرضي الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (324/15) و «تذكرة الحفاظ».

[1] رواه مسلم (811) ، ورواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (5015).

[2] أي العبد.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبرِّه وإحسانه ورحمته ؛ توجب له سعة الرجاء ، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه ؛ تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة[1] أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجِباتها.

وكذلك عِلمه بكماله[2] وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية ، **فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات** ، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها ، فخلقه سبحانه وأمره هو مُوجَبُ أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها.[3] انتهى كلامه.

قلت: وللإيمان بأسماء الله وصفاته فوائد جليلة غير ما ذكر رحمه الله ، (فمن آمن بأن من أسماء الله تعالى (العفو) و(الغفور) و(الرحيم) ، وأن من صفاته (المغفرة للمذنبين) و(الرحمة) و (العفو) ؛ دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله ، وإلى عدم القنوط من رحمته ، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

ومن عرف أن من صفات الله تعالى أنه (شديد العقاب) و (الغيرة إذا انتُهِكت محارمه) ، و(الغضب) ، وأنه (ذو انتقام ممن عصاه) ؛ حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

---

[1] أي الخضوع والاستكانة والمحبة.

[2] أي الله تعالى.

[3] «مفتاح دار السعادة» (2/510-511).

كما أن المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى (القوي) و (القادر) و (العزيز) ، وأنه تعالى (يتولى المؤمنين بالحفظ والنصر) ؛ أكسبه ذلك عظمة التوكل على الله ، والوثوق بنصره ، وعدم الهلع من أعدائه ، فيعيش قرير العين ، واثقا بحفظ الله وتأييده ونصره.

ومن استقر في قلبه أن من أسماء الله تعالى (البصير) ، وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء ، وعلم أن من أسماء الله تعالى (الرقيب) و(العليم) ، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات نفوسهم ؛ حمَله ذلك على البعد عن معصية الله ، وأن لا يراه الله حيث نهاه ، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

ومن آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

ومن عَلِمَ أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعالى بها استجاب الله دعاءه ، فحصل له ما يرجوه من مرغوب ، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

هذا كله قطرةً من بحرٍ من ثمراتِ الإيمان بالأسماء والصفات).[1]

خاتمة

وختاما لهذه المقدمة التوضيحية لفهم عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، فإني أُذكِّر نفسي وإخواني بأن الواجب على المؤمن اتباع النصوص ، وفهمها على ضوء فهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون ، فإن علِم الله من المؤمن حرصه على اتباع الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان ؛ هداه إلى الصراط المستقيم ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ولو علم الله

[1] نقلا من «تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية» ، ص 67 – 68 ، للشيخ الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين حفظه الله ، بتصرف يسير.

فيهم خيرا لأسمعهم﴾[1] ، أي لأسمعهم السماع الموجب للفهم والانقياد ، وأما إن علم الله في قلب الإنسان زيغا أزاغ قلبه ، كما قال تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾[2] ، فإنه ما من قلب إلا وهو بين أصبُعين من أصابع الرحمٰن ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، نسأل الله تعالى أن يُقيم قلوبنا على العقيدة الصحيحة ، وألا يزيغنا بعدما هدانا ، (يا مقلِّب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) ، إنك خير مسئول وأعظم مأمول.

[1] سورة الأنفال: 23 .

[2] سورة الصف: 5 .

ثبت مراجع علمية في باب أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، لمن أراد التوسع في الاطلاع

١. كتاب الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: عبد الله الحاشدي ، الناشر: مكتبة السوادي – الرياض

٢. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق: أحمد بن علي المثنى القفيلي الرداعي ، الناشر: مكتبة عباد الرحمٰن – مصر

٣. كتاب النزول ويليه كتاب الصفات ، علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي ، الناشر:

٤. كتاب النعوت ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: د. عبد العزيز الشهوان ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض

٥. كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد ، محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني ، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة

٦. كتاب الأربعين في دلائل التوحيد ، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهي ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة

٧. إفراد أحاديث أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته غير صفات الأفعال في الكتب الستة ، حصة بنت عبد العزيز الصغير ، الناشر: دار القاسم – الرياض

٨. الفتوى الحموية الكبرى (مقابلة على تسع نسخ) (وتقع في مجموع الفتاوى ٥/٥-١٢٠) ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري ، دار الصميعي – الرياض
٩. الدرة العثيمينية بشرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، إعداد: غزاي الأسلمي وفهد الغامدي ، الناشر: مكتبة الإمام الذهبي – الكويت
١٠. التعليقات التوضيحية على مقدمة الفتوى الحموية ، صالح بن فوزان الفوزان ، الناشر: دار العاصمة – الرياض
١١. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح بن عثيمين ، دار أضواء السلف – الرياض
١٢. التعليق على القواعد المثلى ، عبد الرحمٰن بن ناصر البراك ، دار التدمرية – الرياض
١٣. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، محمد بن خليفة التميمي ، دار إيلاف الدولية – الرياض
١٤. جهود الإمام ابن قيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات ، وليد بن محمد العلي ، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت
١٥. نواقض توحيد الأسماء والصفات ، ناصر بن عبد الله القفاري ، الناشر: دار طيبة – الرياض

١٦. الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلٰهية ، والرد على المفوضة والمشبهة والجهمية ، عادل بن عبد الله آل حمدان ، الناشر: دار الأمر الأول – الرياض

شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا

١٧. أسماء الله الحسنى (مجموع كلام ابن القيم في أسماء الله الحسنى) ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، جمع: يوسف علي بديوي ، توزيع دار الدليقان – الرياض

١٨. فقه الأسماء الحسنى ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، الناشر: دار التوحيد للنشر – الرياض

ثبت مراجع الكتاب

- الشريعة ، الإمام أبي بكر الآجري ، تحقيق الوليد بن محمد بن نبيه النصر ، توزيع المكتبة المكية – مكة
- كتاب الأسماء والصفات ، الحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي ، الناشر: مكتبة السوادي – الرياض
- كتاب السنة والرد على الجهمية ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق أحمد بن علي الرياشي ، الناشر: مكتبة الإمام البخاري – اليمن
- السنة ، أبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، تحقيق د. عطية بن عتيق الزهراني ، الناشر: دار الراية – الرياض
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، ابن بطة العكبري ، الناشر: دار الراية – الرياض
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أبي القاسم هبة الله اللالكائي ، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر: دار طيبة – الرياض

- العلو للعلي الغفار ، شمس الدين الذهبي ، تخريج أشرف عبد المقصود ، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض
- مجموع فيه إثبات صفة العلو ، ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، وذم التأويل ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، عناية بدر بن عبد الله البدر ، الناشر: دار ابن الأثير – الكويت
- كتاب العرش ، لشمس الدين الذهبي ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
- شرح العقيدة الواسطية ، الشيخ محمد بن عثيمين ، ط ٦ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر: دار العاصمة – الرياض
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ، اختصار: محمد بن الموصلي ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث – القاهرة
- الرسالة الوافية ، الإمام أبو عمرو الداني ، تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

- توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ، مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ، الناشر: مركز بن صالح الثقافي – عنيزة
- الاقتصاد في الاعتقاد ، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، تحقيق د. أحمد بن عطية الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر النمري ، تحقيق أسامة بن إبراهيم ، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر
- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- طبقات الحنابلة ، أبي يعلى الفراء ، تحقيق د. عبد الرحمٰن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والريادة ، ابن القيم ، عناية علي حسن الحلبي ، الناشر: دار ابن عفان – الخبر
- تاريخ الإسلام ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت

- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت